الكتاب الملعون:

(شيطان إيميلي)

للكاتب: سلام عبد الخالق

معلومات: دار النشر

الإهداء:

بكل ما أوتيت من فن وإبداع، وبكل العرفان والتقدير الذي يمكن للقلب أن يحمله، أهدي هذه الرواية:

إلى والدي العزيز ووالدتي الغالية، اللذين كانا لي كالأرض التي أقف عليها والسماء التي تظللني، لكما أدين بكل نجاح وكل خطوة مضيئة في دربي.

إلى استاذتي الفاضلة، التي لم تكتفِ بمنحي العلم والمعرفة، بل منحتني من وقتها الثمين ومن قلبها الكبير، وكانت إعجابها بما أكتب بمثابة الوسام الذي أعتز به.

إلى صديقي أحمد، الجندي الخفي وراء كل صفحة وكلمة، الداعم المعنوي الذي لا يعرف الكلل، والذي كان له الفضل في إكمال هذه الرحلة الروائية.

وإلى وسيم، الصديق الوفي الذي لم تفتر عزيمته في تشجيعي، والذي قدم لي كل دعم ممكن، بالرغم من أن دروبنا الأكاديمية لم تكن متشابهة.

أنتم الأعمدة التي ترتكز عليها هذه الرواية، والأرواح التي تنبض في صفحاتها. لكم مني كل الحب والامتنان، ولأجلكم تبقى الكلمات خالدة، تتردد صداها في أروقة الزمن.

مقدمة:

في ظلال الواقع المترامي، حيث الأسرار تتدثر بالغموض والأقدار تنسج خيوطها بصمت، تبدأ رحلتنا. هذه الصفحات، التي تحمل بين طياتها حكاية ليست ككل الحكايات، تترك باب العالم مواربًا لأرواح تائهة بين السطور، وقدرات تتجاوز حدود الإدراك.

من خلال هذه المقدمة، أدعوكم للانغماس في غابة من الأحداث، حيث كل شجرة تخفي سرًا، وكل ظل يحكي قصة. هنا، في هذا الجزء من السرد، قد تجدون نهايات تبدو كاملة، لكنها لا تزال تنبض بالحياة، تنتظر الفصل القادم لتكشف عن مزيد من الغموض.

هي حكاية تتراقص على حافة الحقيقة والخيال، تدعوكم للتساؤل عما وراء الأفق المنظور، وتشجعكم على البحث عن معانٍ أعمق في الأحداث اليومية. ففي كل نهاية، تكمن بداية جديدة، وفي كل خسارة، تكمن إمكانية العثور على كنز مخفي.

أترككم مع هذه الصفحات، لتغوصوا في عمق مغامرة لا تنتهي بإغلاق الغلاف، بل تستمر في العقول والقلوب، متشوقة لتكشف عن أسرار أكثر في أجزاء لاحقة. فلتكن هذه المقدمة مفتاحكم إلى عالمٍ حيث كل شيء ممكن، وحيث كل نهاية هي فقط البداية.

في غمرة عالم متشابك الأقدار، حيث تتلاشى الحدود بين الحقيقة والأسطورة، تأخذكم "روايتي" في رحلة عبر ظلال الوجود، حيث الأرواح تتصارع والأحلام تتحدى اليقظة.

هذه ليست مجرد قصة، بل ملحمة تنبض بالحياة، تتخطى صفحات الكتاب لتستوطن الوجدان. استعدوا للغوص في أعماق متلاطمة من العواطف، حيث الحب يصارع الخوف، والتضحية ترقص مع القدر. كل فصل يفتح بابًا نحو عالم مختلف، كل شخصية تعكس جانبًا منا نحن، وكل تحول يجسد صراعًا أبديًا. "روايتي" تعدكم بأن تبقى الأحداث محفورة في ذاكرتكم، تنتظر بشغف لحظة الكشف في الأجزاء القادمة.

في الغلاف الخلفي لهذه الرواية، تجدون دعوة لاستكشاف الأعماق الخفية للنفس البشرية، ولمواجهة الأسئلة التي تتردد في صدى الروح. هل أنتم مستعدون للإبحار عبر هذا البحر العاصف من الخيال والواقع.

حاولت يائسا أن أفتح عيني، أن اصرخ، ان اطلب النجدة، أو أي شيء لأوقفها. لكنها لم تتوقف في لحظة خانني فيها جسدي وتخدر بأكمله كأن به شلل، سوف تقتلني!...

صرخت، وصرخت، سأموت! أنا أموت! إنها تقتلني! اقتربت مني أكثر فأكثر حتى صارت أمامي مباشرة ورأيت الخنجر في يديها والدم يتهاطل من فمها.

كانت وحشا ولم تكن إيميلي التي أعرفها، لم تكن نفس الفتاة ذات الملامح البريئة التي توحي على أنها لا تقوى على قتل ذبابة، أما تلك التي كانت أمامي؛ لم تكن إيميلي قط! إنها وحش لعين يبدو أنه سفك ارواحا لا تعد ولا تحصى.

كان السكين في يدها اليمنى، وصرخاتها الغريبة والمرعبة تكاد تدمر المكان.

_ اللعنة! لا أريد أن أموت!

غرفة يطلق عليها لقب الظلام باستحقاق، في الزوايا الداكنة، أمكنني شم رائحة الإنسان تلك الرائحة الحقيقية التي لا يمكنه التخلص منها ولو بعطور العالم كله، تلك الرائحة الممزوجة بخليط هائل من الأحاسيس الثائرة والكراهية المتوهجة في العينين، الكلمات الموحشة والصراخ الذي لا يمكن أن تصيغه في عبارت، أستنشق كل هذا مع كل نسمة تأتي من

كسر في زجاج النافذة، بدا لي أن التخلص من حواسي الان هو قرار صائب،

لا يمكنني سوى التصرف كطائر يحلق بتأثير الرغبة التي تعصف به من داخله، رغبة مؤقتة، أبحث بأنفي، وأرى بكف يدي. كل شي فقد قيمته بالنسبة إلي، عالق بين وحش على مقربة من إنهاء أنفاسي، وبين ضعف ووهن يسري في عروقي.

في الزاوية المقابلة لي، ألمح شبحا يتربص بي كذئب اختار كبشه طعاما مع أنه في القطيع يأكل الأعشاب. لكن أتحسب أن النافذة المكسورة تدخل نسيم الرعب فقط؟

لا! هي الان تدخل للغرفة ضوءا خافتا جدا لا يكسر غطاء الظلام كما يعكس شكل الأشباح، وها أنا ذا ألمح إيميلي المتوحشة في لحظة لم أستطع فيها أن أرى كف يدي،

كل ما يلمع ويسطع بقوة في هذه الغرفة اللعينة هو نصل الخنجر في يد إيميلي، وأيضا عيني الخائفة تحدق بها. وها هي الان تقترب بخطى بطيئة، وتنثر ضحكات شيطانية هنا وهناك، شعرت باقتراب النهاية بتكلف، فالأمر واضح والوحش يصارح، اغمضت عيني حتى لا أرى أنيابها تخترق جسدي والدماء تهطل مني كالأمطار في الليالي الباردة.

كان شعور سيئا بحق، الضعف والانكسار والهزيمة والان الموت!

حاولت أن أصرخ طلبا للنجدة، لكن شعرت بأحبالي الصوتية تستغيث هي الأخرى بداخلي وكأنها قطع بعضها البعض.

لكن حدث ما ليكن متوقع، سمعنا صوت عواء كاد يفجر طبلة أذني، لا أعرف كيف حدث هذا إلا أنه كان في وقت مناسب، أنقذني ذئب وأكل فتاة، كم أرغب في أن أجلس معه ليسرد لي الأحداث من منظوره، أعرف أنه ليس بسوء "وحش إيميلي".

لما سمع ذلك الصوت توقف مكانه وكادت تخار قواه أمامي، بدت عليه ملامح الانزعاج والغضب الشديد من جهة والتألم من جهة أخرى، التفت نحو المخرج وهو يمشي بخطوات

متثاقلة ومبعثرة ظنا منه أن الأرض تميل، لكن في كينونته لم يقبل بهذا العرض الذي يتركني فيه حيا وهو الذي كاد أن يظفر بحياتي مقابل سلامة رأسه وهدوءه، هل الوحوش تتأذى؟

قبل خروجه واختفائه في الظلام مرة أخرى، وبصعوبة تامة رأيته يقف أمام أحد جدران الغرفة، بدأ بتلطيخ إصبع إيميلي بالدماء التي كانت تنزف من فمه ثم يكتب على الجدار

وما ان أكمل ما كتب، تبخر من أمامي في ذلك الظلام الداحس.

نهضت بمعجزة عظيمة وانا الذي كادت عظامي المرتعشة أن تتهشم، وبخطوات متأرجحة وصلت إلى ذلك الجدار اللعين، فوجدته كتب:

"سأعود وألقنك درسا كآخر شيء تتعلمه ثم تموت. سحقا لك!"

(1)

اخترقت أشعة الشمس نافذتي معلنة عن بزوغ يوم جديد؛ استيقظت مسرعا وكأن خيوطها قد لامست روحي قبل جلدي، تمددت في سريري للحظات، أتنفس هواء الصباح النقي، وما إن حان وقت النهوض حتى شعرت بالحياة تجري في عروقي، كأنني أولد من جديد مع كل شروق. اتجهت نحو النافذة التي يسكن في زجاجها كسر شكل ثقبا معتبرا يدخل الهواء النقي في الصباح وفي الليل ريح عقيم يقلع النوافذ ولا يحمل معه الأمطار، فتحتها ببطء، مما سمح للهواء النقي بدخول الغرفة وتعبئة رئتي بنسمات الصباح المنعشة.

خرجت من الغرفة أمشي في الممر الهادئ، أقدامي الحافية تداعبها برودة الأرضية، عَزف الطيور يتسلل إلى أذني، أول موسيقى في قائمة التشغيل هي موسيقى الطبيعة الأولى. رواق كان أشبه بالعمود الفقري للمنزل بل كان يرسم عرقاً في جسمه، ضيقًا ولكنه نابضًا بدم الخطوات التي لا تُعد

اصطفت على طول جدرانه صور لأزهار نادرة ولقطات تاريخية ذات إطارات راسخة محاطة بالخشب العتيق.

اما البساط الذي يمتد من بداية الرواق حتى نهايته كان مظفرا بأنماط معقدة تتشكل من زخارف دقيقة كأنها لغز، مغزولة بخيوط الزمن نفسه يعكس تألقًا رومانسيًا وغموضًا متجسدًا في لونه القرمزي.

وصلت إلى المطبخ الذي كان في نهاية الرواق على اليمين، عندما تخطو عتبة الباب القديم، تنسكب سيمفونية من أشعة الشمس معانقة برقصها فسيفساء البلاط الأحمر الأرضي في ردهة المطبخ، الجدران مطلية بلون الذهب تحمل صدى خافت لأحاديث مضت، في المنتصف يحتضن طاولة من خشب الماهوجني تحمل إناءً للزهور البرية فوق مركزها تتلألأ كبقايا حلم تلاشى كما تتلاشى النجوم أمام ضوء الشمس. أما على يسار نهاية الرواق تجد غرفة المعيشة، حيث في داخلها تتدفق زخارف الراحة. طليت الأريكة الوثيرة بلون العنبر، والوسائد المتناثرة عليها تشبه أوراق عصفت بها رياح الخريف. المدفأة الحجرية تستولي على الجدار المقابل للمدخل، فوقها رف صار مسرح للتحف الصغيرة ومحملاً بأجمل الكنوز التي يحتضنها عالم الكتب والروايات، بل كل كتاب يبدو كأنه شاهد على مئات القصص والحكايات، التي مزجها رونق الفكر البشري بعبق

الماضي واشتياق الحاضر، إلا كتاب واحد فقط يحتضن حكايات داخل حكايات يرعب السامع ويقتل القارء.

أخذت كوب من القهوة واتجهت إلى الأريكة التي أجد راحة كبيرة حينما أجلس عليها قاصدا القراءة ولا أعرف السبب وراء هذا الشعور، لكن كأي عادة يصعب تغيرها أو تركها فأنا مستسلم لذلك، فتحت الكتاب الذي أظن ان فيه جواب يشفي غليل السؤال، وكان عنوانه: "كيف تنسى ما لا ينسى" فشعرت بالهزيمة تطاردني حتى بعد تلك الليلة اللعينة!

قضيت منتصف النهار أحاول أن أنهض بحل ينثر عني تراكم الهزائم من فوقي، بل حتى النسيان كان خيار جيدا بالنسبة لي، لكن في قرارتي نفسي أعرف أن الموقف لا حل له سوى المواجهة وليس الهروب والفرار، مع ذلك شعرت بخيبة لعدم الحصول على ما أردت، كان هذا اليوم مبرمج لرحلة عبر القطار يمكنك أن تسميها كما شئت، لكن الخوف يجعلك تسافر وليست السعادة فقط، كانت الرحلة على الساعة السادسة مساءا متجهة من (بروكنهورست - نيو فورست) إلى (بيكاديلي - مانشستر) مدتها تقارب الأربع ساعات، وصلت إلى المحطة المختبئة بعيدًا في نسيج الريف البريطاني الخصب، تقبع كشاهد على زمن مضى، طوبها تآكل تحت وطأة الزمن الذي لا يتوقف، زينت بنبات اللبلاب الذي وجد مستقرًا له في النسيج الخشن لبعض لجدران العتيقة. الأرصفة المصطفة وأعمدة

الإنارة تلقي وهجًا دافئًا خافتًا في أمسيات إنجلترا الباردة، كل مصباح يُضاء كأنه يتنفس بصعوبة، مسكوبًا بظلال ترقص على الأرض.

ومع وصول القطار، سمعت صرير العجلات الحديدية على القضبان المتآكلة. الهيكل الثقيل يتباطأ بعزم حتى يستقر بجانب الرصيف. أبواب القطار الخشبية العتيقة تُفتح بصرير يُوقظ الصمت العميق الذي يلي الهدوء المعهود للمحطة.

وفي زحمة المساء، حيث تتدافع الأقدام على أرصفة المحطة، اخترقت الحشود بخطى موزونة، متجهًا نحو القطار الذي يستعد لابتلاع المسافرين والانطلاق بهم نحو وجهاتهم. في يدي اليمنى أمسك بتذكرتي كمن يمسك بمفتاح عالم آخر وفي الأخرى حقيبة سفر صغيرة تحمل أغلى ما امتلك، دخلت القطار، فتجلت الحِرَف اليدوية في الأخشاب المنقوشة والمقاعد المنجدة بقماش مخملي متقن. الممرات ضيقة لكنها تنبض بحنين آسر؛ الأضواء الخافتة تنزلق عبر النوافذ المقوسة، تترك أشكالاً من الضوء تعلو الجلد المطرز للمقاعد. كل شيء هنا يهمس بقصص من الأزمنة التي مرت، صدى ضحكات الركاب الغامضين، حفيف الصحف المطويّة بعناية، وها أنا أتنقل بين كل هذه الوجوه المتعبة والعيون الحالمة، محاولاً العثور على رقم مقعدي الذي حجزته مسبقًا، كأنني أبحث عن كنز مدفون بين ثنايا العربة. بعد لحظات من البحث، وجدته أخيرًا، مقعد

يتيم بين صفوف المقاعد المتجاورة، ينتظرني بصمت. تنهدت براحة وأنا أضع حقيبتي في الرف العلوي، ثم انحنيت بهدوء لأجلس في مكاني. شعرت بالنسيج الناعم للمقعد، وكأنه يستقبلني في حضن دافئ. ارتاح ظهري على الوسادة، وأنا أشاهد العالم خارج النافذة يتحول إلى لوحة متحركة من المشاهد المتغيرة.

يتجه القطار بعيدًا عن بلدتي الصغيرة التي طالما أحببتها حتى ولو كان فيها وحوش العالم كله، تلك البلدة التي تمتزج فيها رائحة الأرض الطيبة مع ضحكات الأطفال البريئة. الان يحتضن القطار رجلاً يحمل في أعماق قلبه حب لمكان هو هارب منه، أتابع بنظرات حالمة الأراضي الخضراء التي يستولى عليها الضباب، والأشجار التي تتمايل مع الرياح، أشعر بتلك النغمات بين صخب محرك القطار تتداخل مع أصوات الطبيعة، فتعزف سيمفونية سميتها "هروب بحنين للعودة".

تكلمت كثيرا عن هذه البلدة لكنكم لا تعرفون عنها شيء صحيح؟

في زاوية نائية من الريف البريطاني، تقبع بلدة صغيرة تتوارى خجلا خلف ستائر الضباب الرقيقة، مثلها مثل جوهرة مصقولة بيد الطبيعة. تتخلل شوارع البلدة الضيقة بيوتًا قديمة متراصة بأسطحها المائلة والمغطاة بقرميد أحمر صنعت بإحكام من الحجر الرملي والطوب المتين، تنبض بحكايات الأزمنة الغابرة، والمداخن تتصاعد منها دخان رقيق

يتهادى في الأفق كرقصات خفية. تتمايل الأزهار البرية على جنبات الطرقات، تنثر عطرها بسخاء في الهواء العليل، والأشجار العتيقة تقف شامخة كحراس على أسرار الزمان. الحدائق الأمامية للمنازل تزهو بتشكيلات من الزهور الملونة، والأسوار الحجرية القديمة تحتضنها بحنان.

* * *

كل هذا الخيال اللذيذ تلاشى سريعًا -كفقاعة صابون تنفجر لتكشف عن قسوة الحقيقة– أمام المطب الذي تعرض إليه القطار، بل كان كفيل أيضا في إنعاش عقلي السارح في أمور لا وقت لها، لكن الظاهر أن ليس عقلي فقط من عاد إلى الواقع اللعين بل أحضر معه أفكارا لم أفكر بها حتى في اللحظة التي كاد وحش إيميلي أن يقطف فيها رأسي، أنا الان كشخص يختبأ في زاوية شارع مظلم، يركض بأنفاس متقطعة، وقلبه يدق كطبول الحرب من وحش لا يعرف كيف ينهي ما ورط به نفسه، هل رحلة عبر القطار كفيلة بإنهاء هذه المطاردة؟

_ لا أظن ذلك!

كانت المحاولة فقط في تقليد صوت ذلك الوحش تجعل أنفاسي تتسارع من جديد، اللعنة! يبدو أنني منهزم منذ صافرة البداية.

لازالت تلك الكلمات الدموية محبوسة داخل رأسي، وثمن حريتها هو عدم مقابلة ذلك الكيان مرة أخرى. أريد فقط راحة نفسية، وتذكرة للعبور إلى بر الأمان.

كانت العربة تهمس بأصوات متداخلة وهادئة، غير مفهومة لكن تتمازج مع صوت العجلات التي تدق على القضبان كنبضات متواصلة. جسدي منهك كأنما حملنا على كتفي أوزار العالم، وعيناي تتقاتلان ضد النوم الذي يغزوهما بلا هوادة، أحاول مقاومة الإرهاق، لكن النعاس كان أقوى مني، فسحبني إلى أعماقه الدافئة. استسلمت أخيرًا لإغراء الغفوة، وأغمضت عيني ببطء، فبدأ العالم من حولي بالتلاشي، والأصوات تتحول إلى همسات بعيدة، كأنها من عالم آخر، رأسي وجد ملجأ على زاوية المقعد، في حين كنت أتدثر بسكون الرحلة الليلية.

استيقظت على صوت القطار وهو يعلن توقفه في احدى المحطات التي تعترض مساره، فعدت إلى وعيي وإلى التفكير من جديد. وعلى تلك الحالة من الشرود، فتحت أبواب القطار، فبدأت ضجة قتلت كل الهدوء الذي كان راكب معنا، فهذه عائلة تتسارع حتى تنزل من العربة لكن الابن الصغير وقف كحاجز زمني لأنه لم يحظ بقسط من الراحة،

وفي الجهة الأخرى، تجمعات حول باب القطار وحشود تحاول الركوب لكن التيار المعاكس لهم يصارع أيضا على النزول. في تلك اللحظات، كنت أحاول جاهداً أن أمسك بتلابيب تركيزي الذي يحاول الفرار مني. أشعر بالحركة الدائبة تحيط بي من كل جانب، تتحداني أن أبقى هنا، حاضرًا، متيقظًا، وألا أسمح لذهني بالانجراف بعيدا، أتحسس القوة في داخلي لأبقى متيقظاً، أمعن النظر في الوجوه، وأحصي الدقائق، أتنفس بعمق... استنشقت بقوة هذه المرة كأنني أكاد اختنق...

يعترض الهواء سحابة من العطر تخترق أنفاسي، رائحة مزج فيها الأزهار والفواكه مع لمسة من الغموض، تنتشر في الهواء كسراب من الفراشات. انها تلك الرائحة الحلوة والمميتة، التي أصبحت مألوفة بشكل مرعب، اخفيت ملامح وجهي بقبعتي حتى تمر وتبتعد عني.

شرعت في الدعاء بوتيرة جنونية، وقلبي معلق بين الأمل والخوف وبين الحياة والموت هنا في هذا القطار اللعين، أدعو بصوت مرتجف لكنه يحمل نداءا قوي للإله عله ينقذني ويحميني من شرها.

مع توالي دقائق الليل، يحل الوقت الذي يتحول فيه القطار إلى كهف مظلم، تتلاشى الأنوار مثل شموع تتكاثف أرواحها في الهواء، يبقى الظلام الدامس هو السيد المطلق هنا،

ومن نافذة القطار فلا يختلف الأمر كثيرا، فتبدو الليلة كلوحة قماشية سوداء، الظلام يلف الأرض بستار كثيف من السواد، والسماء الملبدة بالغيوم لم تترك فرصة لضوء النجوم، الهواء البارد يطرق زجاج النافذة، يرسم عليه خرائط من الندى، الأشجار العارية والمبعثرة في الحقول تبدو كأرواح واقفة في الظلام. أما القطار فيترك خلفه ضوء خافت يتلاشى خلفه بسرعة في عتمة الليل، والصمت يخيم عليه من الداخل. هكذا هي انجلترا في الليالي الباردة.

في هذا القطار الذي يعبر الليل كظل سريع، وفي ردهاته الضيقة أحاول أن أتلاشى في مقعدي، أختبئ خلف ستار الواقع محتضنا الظلام كأخر حليف لي. رائحة العطر تتخلل الهواء وتملأ الممرات، تنسج حولي شبكة من العبير المسموم، انها نفس الرائحة الأنثوية الحلوة التي تحمل في طياتها نذير الخطر. قلبي يخفق تحت قميصي، كأسير يحاول الإفلات من قبضة جلاده.

أغمض عيني، مستشعرا حضورها قبل أن أراها، كما لو أن الهواء نفسه قد اشتد توترًا. تتأرجح العربة برفق على القضبان، وكأنها تتمايل على أنغام موسيقى لا يسمعها سوى من يترقب القدر. أتمنى لو كان بإمكاني الاندماج مع القماش الذي يغطي المقعد، أن أصبح لا شيء، غير مرئي

لهذا الوجود الذي يتقدم نحوي، لكن القدر له خطط أخرى، وبشرتي تخونني دوما ببياضها الذي يلمع في الظلام.

ها هي ذي، تلك الفتاة أو دعنا نقول انه حان موعد ندائها باسمها انها "إيميلي"، تتبع عبق العطر الذي تركته خلفها، وكأنه خيط أريادني الذي يقودها إلى مكمني.

أشعر بالمقعد يهتز بجانبي، وأعلم أنها قد جلست هناك، بجانبي، مصدر الخطر الآن أقرب من أنفاسي. أتجرأ على فتح عين واحدة، ألقي نظرة خاطفة إلى جانبي، أرى ابتسامتها التي تحاول إخفاء العاصفة وراءها. أحاول أن أبدو هادئًا، غير مبالٍ، لكن يدي ترتجفان في حضني، وأعلم أن اللعبة قد بدأت.

القطار يواصل رحلته في الليل، وأنا أواصل رحلتي في هذا النزال الصامت، حيث كل نظرة وكل حركة قد تكون الأخيرة.

نظرت إليها بأعلى درجة من الحذر، أتنحنح قليلاً حتى أكسر ذلك الصمت المريب الذي أحاط بنا. كاد صوتي أن يشي بالخوف داخلي حينما صار همسًا متقطعا.

_ لم أتوقع أن أجدك هنا... بعد كل هذه السنوات.

ادارت رأسها نحوي، بتلك الابتسامة التي تحمل ظلال الماضي الذي كان بيننا، ثم قالت:

_ العالم صغير، أليس كذلك؟

شعرت بتوتر يغزو جسدي، لكنني أحاول أن أظل هادئًا.

_ صغير جدًا... كيف حالك بعد كل هذا الوقت؟

(اتسعت ابتسامتها قليلاً، ولكنها لا تزال في زاوية ضيقة)

_ أنا بخير، كما ترى. لقد تغيرت الكثير من الأشياء، وأنا أيضًا تغيرت.

_ نعم، لاحظت ذلك. تغيرتِ كثيرًا... إلى درجة أنني بالكاد عرفتك."

مالت برأسها قليلاً، وكأنها تقيم ما قلته.

_ الناس يتغيرون، الظروف تجبرنا على ذلك. أنت تعرف هذا جيدًا.

_ أعرف، ولكن... لماذا تريدين إيذائي؟ ما الذي فعلته لكِ؟

نظرت إليّ بنظرة معقدة، ثم مليئة بالمشاعر التي لم يمكنني تفسيرها.

_ الأمر ليس هكذا! أنت لم تفعل شيئًا، بل ما تصبح عليه الأمور ليست دائمًا كما تبدو لنا، وأحيانًا يتوجب علينا القيام بأشياء... صعبة رغم انعدام الرغبة في القيام بها.

_ ول هناك طريقة يمكنني أن أصلح بها الأمور أو أجعلها أفضل؟

تراجعت ابتسامتها، أصبح نظرتها جادة أكثر، وقالت:

_ ربما... لكن ليس الآن. الآن ليس الوقت المناسب.

تغلبني الحيرة، لكنني أعلم أن الضغط عليها قد يكون خطيرًا. أقرر أن الصمت هو الخيار الأفضل الآن، وأنا أنظر خارج النافذة، أتأمل الظلام الذي يمر بنا، متسائلاً عما يخبئه القدر.

ها أنا أراقب الوقت بعينين خائفتين ومتوترتي تتناسب مع مرور الدقائق، بل كل ثانية كنت أشعر بأنها تتقلص، تتجمَّد الأنفاس في صدري ثم تذوب بموجة حر تعصف بها أنفاسها، أحاول التركيز على عقارب الساعة التي تتحرك ببطء، يتلاشى الصوت من حولي، في حين ينبض قلبي بشكل متسارع، وفي هذه اللحظات أحيكت في ذهني خطة هروب من هذا الموقف اللعين!

مبدئيا، سأبعد الشكوك عني وعن خوفي منها، ثم أذهب إلى المرحاض بخطوات متزنة، ثم أغلق الباب من خلفي وها أنا كسبت لحظات امنة أجمع فيها شتات أفكاري واستعيد توازني. ثم الجزء الثاني هي مرحلة وضع المسار، في طريقي إلى هناك سأقيم الوضع، النوافذ، أقرب الأبواب، الفواصل بين العربات، وصولا إلى مخرج الطوارئ الأقرب إلى مقعدي. وأخيرا، الانتظار حتى يتوقف القطار في المحطة التالية، حينها سأحتاج للتحرك بسرعة وحسم، دون لفت الانتباه، اسلك المسار الامن، ثم اندمج بين الحشود حال فتح الأبواب.

نظرت إلى الساعة فوجدتها تشير إلى التاسعة إلا ربعا، فوجدته وقتا مثاليا للهروب هذا وان المحطة القادمة سيقف فيها القطار حينما تصير الساعة التاسعة تماما. أدرت رأسي إليها فوجدتها مستيقظة، فقلت محاولا إبعاد التوتر مني صوتي:

_ أعتقد أنني بحاجة لزيارة الحمام، عذرًا.

أقوم ببطء، وانا احاول عدم إظهار أي علامة على القلق أو العجلة. لكنها تلتقط نبرة الحذر في صوتي.

_ الآن؟ هل كل شيء على ما يرام؟

_ نعم، بخير، شكرًا لسؤال. لكنني بحاجة حقًا للذهاب.

حاولت المرور بجانبها بسلاسة، لكنها مدت يدها بسرعة فأمسكت ذراعي بخفة.

_ انتظر، لا تبدو بخير. هل هناك شيء تخفيه؟

شعرت بالبرودة تسري في عروقي، حاولت أن أبتسم لألطف الجو وأثبت لها أنني بخير

لا، لا شيء على الإطلاق. أحتاج فقط للمشي قليلا.

سقطت عيني في عينها، فكانت تبدو على أنها تحاول قراءة أفكاري. ثم قالت بنبرة مرعبة:

_ أنت تخطط للهروب عندما نصل إلى المحطة، أليس كذلك؟"

_ هروب؟ لماذا أهرب؟ على العكس تماما، حتى أنني أقدر الوقت الذي قضيناه.

_ لا تلعب دور البريء معي. كلنا هنا نعرف أنك خائف، لكن لا تقلق، صدقني، فأنا لا أخطط لفعل أي شيء الآن.

_ إذًا لماذا لا تتركيني أذهب؟

أفلتت ذراعي ثم أشارت نحو الممر، وما إن هممت بالمشي مبتعدا منها قالت بصوت مفزع:

_ اذهب، لكن تذكر، أنا أعرف كل تحركاتك. وكيف أجدك من جديد، وإذا كنت تفكر حقا في الهروب، ففكر مرة أخرى.

_ شكرًا لتفهمك.

ابتعدت بخطوات متثاقلة، وقلبي يكاد يقفز من صدري، بقيت محتار، أتساءل كيف يمكنني الإفلات من قبضتها، وما هي الخطوة التالية التي تبقيني على قيد الحياة.

يكمل القطار رحلته الليلية، وأنا أتجه إلى مقعدي بجوارها، روحي مثقلة بالاستسلام أمام قدر لا يمكنني تغييره ولا أعرف حتى كيف أتعايش معه، كل خطوة نحوها تزيد من وطأة الواقع الذي أحاول الفرار منه. ها أنا أجلس بجانبها مرة أخرى، أتنفس بعمق، أحاول جاهدًا إخفاء العاصفة التي تجتاح صدري وهي تنظر إلي بعيون تقرأ الأفكار، أشعر بوزن نظرتها يثقل كاهلي. أتجنب النظر إليها، أحاول جمع ما تبقى من

شجاعتي، لكن لا خطة لدي الآن، لا مفر، فقط أنا وهي والقطار الذي يسير في ظلام الليل البارد.

انقطع حبل الصمت الذي كان بيننا، حينما التفتت نحوي ببطء، عيناها تخترق الظلام صوتها ينساب ببرودة تامة، كنسيم ليلي يحمل معه ذكريات مظلمة، فقالت:

_ أتذكر تلك الأوقات التي كنا نتقاسمها؟ كيف كان قلبك ينبض بالحياة عندما كنت بجانبي؟

_ نعم، كانت أيامًا لا تُنسى، وكان قلبي ينبض بالحياة، أما الان فأشك في ذلك.

_ لكن الأيام الجميلة لا تدوم، صحيح؟ دائمًا ما يوجد شيء مظلم يتربص في الظلال، ينتظر اللحظة المثالية للانقضاض.

شعرت بقشعريرة تغزو جسدي مرة اخرى. صوتها يحمل نبرة تهديد خفية، تذكرني بماضٍ غير بعيد أود نسيانه.

_ ما الذي تحاولين قوله؟

_ بكل تأكيد أنت تذكر تلك الليلة، ليلة الحادثة حينما كاد "وحشي" أن يقتلك؟

اتسعت عيناي وشعرت بالدم يتجمد في عروقي، كيف يمكنني نسيان؟

_ كيف يمكنني أن أنسى... كانت ليلة لا تُمحى من الذاكرة.

_ أحيانًا، أشعر بالحنين إلى تلك الإثارة، إلى ذلك الشعور وأنت تعرف أن حياتك كانت في يدي.

_ لكنك لم تقتليني.

_ لا، لم أفعل... ولكن، ألم يكن ذلك مخيفًا؟

_ كان مرعبًا، ولا يزال.

هي تبتسم ابتسامة لا تصل إلى عينيها.

_ جيد، الخوف يجعلنا نشعر بأننا على قيد الحياة

تمددت في مقعدي، أرى العالم من حولي أصبح غير واضحا، وصوت القطار تحول إلى نغمات مهدئة. الركاب، إيميلي، الضوء الخافت، الظلال المتحركة، كل شيء يبدأ بالاندماج في رقصة خافتة تحتل عقلي، ومع كل نفس أخذه، أشعر بأنني أغوص أكثر في بحر النسيان. الخوف يتلاشى، والقلق يذوب، وأنا أتخلى عن مقاومتي وأسمح للنوم بأن يأخذني إلى عالم الأحلام. في هذا النوم العميق، لا يوجد خطر، لا توجد مطاردة، فقط السكون والهدوء الذي يمنحني الراحة من كل هذه الأعباء.

أفتح عيني ببطء، متوقعا أن أرى إيميلي جالسة بجانبي، لكن المقعد الذي كانت تحتله تركته وحيدا الآن. أتطلع حولي بحذر، انظر إلى الممر تارة وإلى الركاب الذين أبحروا في بحر الأحلام تارة اخرى، أتساءل إن

كان النوم قد خدعني أنا أيضا، وأن الواقع لم يكن سوى حلم مضطرب، لكن الحقيقة القاسية تعود بي سريعًا؛ إيميلي اختفت. وهذا شيء مخيف!

أشعر بالارتباك وأنا أنهض، متفحصا المقاعد القريبة، أبحث عن أي دليل أو إشارة أو حتى بقايا عطرها في الجوار. القطار يهزني برفق مع كل منعطف، والنوافذ تكشف عن الظلام الخارجي، الذي يبدو الآن أقل تهديدًا من الفراغ الذي تركته إيميلي خلفها.
أحاول جمع شتات أفكاري. أتنفس بعمق، هل كانت مغادرتها مفتاح هروب للهروب، أم فخ آخر في لعبتها اللعينة؟ أقف مترددًا والحيرة تغزو ذهني، غير متأكد من الخطوة التالية، ولكن مدركًا أن القطار لن يتوقف إلا في المحطة الأخيرة التي بقي على الوصول إليها نصف ساعة فقط، والوقت لا ينتظر.

عدت إلى مقعدي، أتجول بنظري في المكان الذي كانت تحتله، كان هناك شيئًا في الجو يجعل قلبي يخفق بسرعة، أشعر بوجود ما يوحي بان إيميلي لم تذهب دون ترك شيء خلفها.
قد يكون ذلك الشيء هو التوتر الذي يعتريني لاكتشاف الغموض المخفي. ربما تكون هناك همساتٌ خفية تتردد في الهواء، تشير إلى وجود سرٍ محيط به. فجأة، انبعثت شرارةٌ صغيرةٌ من ضوء يتسلل من مصدرٍ

مجهول، ترسم طيفًا خافتًا على الظرف المخفي داخل فراغ في جانب المقعد. هذا الضوء المتلألئ كان كافيًا لكشف لمحةٍ من القدر الجمالي للظرف القديم. فتحته مع توتري لأجد رسالة تنتظر اكتشافها. قلبي يخفق وهو يتنبأ بمحتواها قبل أن أمسك بها. أفتح الورقة بيدين مرتعشتين، أجد خط يدها المألوف يملأ الصفحة، الحروف تتدفق أمام عيني، تكشف عن رسالتها، عن كلمات تحمل ظلال الماضي وإيحاءات الحاضر، تتحدث الرسالة بصوتها، وكأنها تهمس في أذني، تعيدني إلى تلك اللحظات المشحونة بالعواطف التي قضيناها معًا، وتكشف عن سبب رحيلها المفاجئ والصامت.

شعرت بثقل الكلمات يتسرب إلى روحي. هل تحمل الرسالة تحذيرًا، اعترافًا، أو ربما فرصة لإنهاء هذه اللعبة اللعينة؟

أقرأها مرة بعد مرة، كل كلمة تزيد من تعقيد اللغز الذي هو إيميلي.

أنزلق أصابعي على نسيج الورق، أتتبع الكلمات المنقوشة بروح ترتجف من الحقيقة المكتومة. في الكتابة المتموجة، تتكشف أمامي مشاعر إيميلي العارية، النابضة بالحياة والألم. تحكي الرسالة عن قلب ممزق، عن روح تتوق للحرية من قيود وحش لم تخلقه بل وجدته يسكنها، يعبث بمصائر الآخرين بينما يسرق منها السيطرة.

بين السطور، تنساب الاعترافات كدموع صامتة على وجنة الورق، تشف عن جرح لم يندمل، عن صراع داخلي مع ظلام لا يمكنها تبديده. كان الوحش يسيطر على مقاليد حياتها، يفرض عليها مسارات لم تخترها، يحول كل لحظة حب إلى معركة مع الذات.

أحمل الرسالة بين يدي كأنها قطعة من قلب إيميلي، مهشمة ولكنها صادقة. تتركني كلماتها معلقًا بين الشفقة والخوف، بين الرغبة في مد يد العون والحاجة للحفاظ على مسافة آمنة. وأدرك الآن أن الليلة التي كادت تنهي حياتي كانت مجرد صفحة في كتاب مأساتها الطويل.

"إلى من كان يومًا نبض الحياة في صدري!
أكتب إليك هذه الكلمات، من روح عصفت بها الأمواج العاتية. يا له من وحش عتيد، استوطن أعماقي وتحكم في مساراتي، كظل مظلم يتربص في الأركان الخفية لوجودي. لقد كانت هناك لحظات، لحظات نادرة من السكينة، حيث كانت روحك تحتضن روحي، وأنت نائم بسلام على كتفي، وأنا أحرس أحلامك بصمت. تلك اللحظات كانت بريق أمل في ليالي اليأس المديدة. لكن في تلك اللحظة القدرية، كاد الوحش أن ينقض عليك، يسلبك مني بأنيابي!

أتذكر الرعب الذي اجتاحني، كاد أن يسرق مني آخر ما تبقى من النور. بكل القوة التي لم أعرف يومًا أني أملكها، وبأعجوبة لا تزال تحيرني، تصديت له، كبحت رغبته بشق الأنفس. تلك اللحظة، حيث تعلقت بخيط رفيع من الأمل، كانت معركة بين الحب والدمار، وفيها، حميتك بكل ما أوتيت من قوة.

أكتب إليك الآن، والدموع تخون عيني، والقلم يخون يدي، لكن قلبي لا يزال ينبض بالحب الذي كان لك، لم أستطع حمايتك من كل شيء. أتمنى أن تغفر لي، وأن تحتفظ بذكرى لحظاتنا الجميلة كوميض نور في ظلام الليالي الطويلة.

مع حب لا يموت، وقلب ينزف،

إيميلي"

تنزلق أصابعي على نسيج الورق، وأنا أتابع الكلمات المنقوشة بروح ترتجف من الحقيقة المكتومة. تنكشف أمامي مشاعر إيميلي النابضة بالحياة والألم. تحكي عن قلب ممزق، عن روح تتوق للحرية من قيود وحش لم تخلقه ولم تختره، بل هو من وجدها واختارها، يعبث بمصائر الآخرين بينما يسرق منها السيطرة. وبين السطور، تنساب الاعترافات كدموع صامتة على وجنة الورق، جرح لم يندمل، وصراع داخلي مع

ظلام لا يمكنها تبديده. كان الوحش يسيطر على مقاليد حياتها، يفرض عليها مسارات لم تخترها، يحول كل لحظة حب إلى معركة مع الذات.
أحمل الرسالة بين يدي كأنها قطعة من قلب إيميلي، مهشمة ولكنها صادقة. تتركني كلماتها معلقًا بين الشفقة والخوف، بين الرغبة في مد يد العون والحاجة للحفاظ على مسافة آمنة. وأدركت الآن أن الليلة التي كادت تنهي حياتي كانت مجرد صفحة في كتاب مأساتها الطويل.

(2)

إيميلي تلك التي أعرفها تتقاتل مع وحش يرغب في الانتقام مني داخل بجسد تمت لعنته بالفعل. هذا هو التفسير الوحيد الذي يمكن أن أقتنع به بعد كل هذا الهراء الذي اوقعت نفسي به. كلما اقترب القطار من نهاية مساره، كان الزمن يبدو وكأنه يتباطأ، يترقب وقوع حدث ما، أو ربما هذا ما كان يخطط له القدر.

السكون الذي كان يسود العربة تحطم فجأة بصخب مفاجئ، صوت صرخة مكتومة يقطع الهدوء، ينذر بالمصير الأسود الذي يلوح في الأفق. الركاب يتحولون إلى تماثيل من القلق، وأنا بينهم، متجمد في مكاني، قلبي ينبض بجنون. يسري الهمس بين المقاعد، وتتسابق الأعين لترى ما حدث. هناك، في ركن مظلم من العربة، يكمن جسد رجل مجهول لم أره منذ بداية الرحلة، مسجى في بركة دامسة من الدماء التي تتسرب إلى السجاد الأحمر العميق. اقتربت بحذر، ومع كل خطوة أشعر بالواقع يتزلزل تحت قدمي.

يداي ترتجفان، وأنا أتفحص تلك الصورة التي تمسكها أنامل يده، لم أعرف أي شعور كان يسري في عروقي لأنني أرى صورة تحمل ابتسامة من الماضي لنفس الشخص الذي يكاد يقتله الفزع، الأسئلة تتكاثر

في رأسي كسرب من العصافير المذعورة. من كان هذا الرجل؟ ولماذا كان يحمل صورتي؟

بدأت الشكوك تحوم حولي كغيوم رعدية، وأنا أدرك أنني قد أصبحت جزءًا من لغز معقد.

جاء أحد الركاب بعدما أيقظته صرخات الفزع وهو لا يعرف عما يحدث هنا شيء

_ ما هذا؟ يا إلهي...! جريمة قتل...! هل هو... ميت؟"

_ اتركوا مسافة، لا تلمسوا شيئًا! قد يكون هذا مسرح جريمة.

قالت مضيفة القطار بنبرة جادة:

_ أرجو من الجميع البقاء في أماكنهم والحفاظ على الهدوء. سأذهب لإبلاغ قائد القطار.

بعدما أبلغته المضيفة، عادت إلى العربة لتلقي علينا تعليمات وإجراءات معينة.

_ أرجو من الجميع ألا يغادر مقعده. من الضروري للغاية أن نحافظ على كل شيء كما هو حتى تصل الشرطة وتبدأ تحقيقاتها.

نطق أحد الركاب مقاطعا:

_ ولكن ماذا لو كان القاتل ما زال هنا؟ ماذا عن سلامتنا؟

_ نحن نفهم قلقكم، لكن من الأهمية أن نظل جميعًا معًا هنا في هذه العربة. سأغلق الأبواب وسأكون هنا معكم حتى نصل إلى المحطة، لم يبقى الكثير.

قلت بنبرة مهدئة بعض الشيء:

_ يجب أن نكون حذرين وألا نثير الهلع، إذا كان لدى أي شخص معلومات قد تساعد، يجب أن يتحدث الآن.

الركاب يتبادلون نظرات القلق والشك، والهمس يملأ العربة بينما يتساءل الجميع عما يمكن أن يكون قد حدث. الجو مشحون بالتوتر، والكل يدرك أن الرحلة التي بدأت كمجرد انتقال من مكان إلى آخر قد تحولت الآن إلى رحلة بحث عن العدالة.

في الوقت الذي يتوقف فيه القطار بصوت أنين الفرامل، تبدأ لعبة خطيرة من البحث عن الحقيقة، وأنا، بطريقة ما، في قلب هذه الدراما. الشرطة تصعد على متن القطار، ونظرات الريبة تقع عليّ، وأنا أحمل معي سر الصورة وذكرى الرسالة التي تركتها إيميلي، معلمين طريقًا غامضًا نحو الحقيقة التي لا بد من كشفها.

الراكب الثالث (يهمس للراكب الرابع):

_ هل رأيت كيف كان يتصرف؟ يبدو مريبًا، وكأنه يخفي شيئًا.

يجيبه بهمس:

_ نعم، وما قصة الصورة؟ لماذا كانت مع الضحية؟

انظمت الراكبة الخامسة للحوار بصوت خافت:

ألا يبدو قلقًا بعض الشيء؟ ربما يعرف أكثر مما يقول.

راكب السادس (بصوت أعلى قليلاً):

_ سمعته يتحدث عن رسالة غريبة، والآن وجدوا صورته مع الضحية... يجب أن نخبر المضيفة بشكوكنا. لا أشعر بالأمان معه هنا.

مضيفة القطار (تقترب من الركاب):

_ أرجوكم، إذا كان لديكم أي معلومات، يجب أن تخبروني بها. لكن لا تقفزوا إلى الاستنتاجات، الشرطة ستحقق في الأمر.

الراكب الثالث (مؤكدا شكوكه):

_ امر الرسالة الغامضة، ثم الفناة التي كانت جالسة بجنبه، الخوف الذي كان يعتريه.

والآن هذه الصورة... هل لا ترين أن هذا غريب؟

تدخلت بهدوء قائلا:

_ أنا أفهم قلقكم، لكني أؤكد لكم أنني لا أعرف شيئًا عن الجريمة. نحن جميعًا في هذا الموقف معًا.

المضيفة (تحاول تهدئة الجميع):

سنصل إلى المحطة قريبًا، وستأخذ الشرطة إفادات الجميع. من فضلكم، حافظوا على الهدوء ولا تتسرعوا في الحكم على أحد.

* * *

أخيرًا، وصل القطار إلى محطته الأخيرة، وهو يتنهد كأنه يستسلم للمصير الذي كان يحاول الفرار منه. المضيفة، بصوت رزين يخترق الضجيج المتزايد، توجه الركاب بصبر.

_ أرجو من الجميع النزول من القطار بهدوء والتوجه نحو المنصة. الرجاء الحفاظ على تذاكركم للشرطة والتعاون الكامل معهم.

بينما يتدفق الركاب خارج العربات، كان المشهد خارج القطار كلوحة معقدة من الألوان الباهتة والأصوات المختلطة، المكان محاصر برجال الشرطة، يضعون الأشرطة الصفراء التي رسمت حدودًا لمسرح الجريمة، وتنبعث أضواء السيارات الزرقاء والحمراء لتكسر الظلام بإيقاع متقطع.

يقف المحققون بثقة، بالتعاون مع عمال المحطة ينظمون الركاب في صفوف مرتبة، كل واحد منهم يحمل دفتره يقيد الملاحظات الهامة، جاهزين لتسجيل كل كلمة، وكل تفصيل قد يقودهم إلى الحقيقة. تم توجيه الركاب إلى منطقة انتظار مؤقتة، حيث تبدأ عملية التحقيق الفردية. يتم استجواب كل شخص بعناية، ثم تُجمع الإفادات، وتُفحص الأدلة بحثًا عن خيط قد يقود إلى الجاني، في حين يحاول كل راكب استعادة ذكريات الرحلة، يستعينون بصندوقهم الأسود عله التقط أي شيء يساعد في حل اللغز الذي ألقى بظلاله على نهاية الرحلة.

محقق (يقلب صفحات دفتره وينظر بحدة للراكب الأول):

_ هل لاحظت أي تصرفات غريبة من أي من الركاب خلال الرحلة؟

راكب (بنبرة مترددة):

_ حسنًا، هناك شخص واحد... لا أريد أن أتسبب في مشاكل لأحد، لكن الرجل الذي الواقف هناك (أشار عليّ) بدا قلقًا طوال الوقت.

المحقق (يشحذ انتباهه):

_ أوصف لي تصرفاته بالتفصيل، إذا سمحت.

_ كان يتحدث إلى نفسه بصوت منخفض وينظر حوله بقلق. وفي إحدى المرات، رأيته يخفي شيئًا في جيبه بسرعة عندما مررت بجانبه.

المحقق (يدون الملاحظات):

_ هل يمكنك تحديد ما كان يخفيه؟

راكب: لم أرَ بوضوح، لكن بدا وكأنه جزء من قطعة قماش أو ربما كيس صغير.

المحقق (بلهجة أكثر جدية):

_ مثير للاهتمام. هل شاهدته يتفاعل مع أي من الركاب الآخرين؟

الراكب:

_ ليس تمامًا، لكنه كان يجلس بالقرب من الضحية في وقت ما، وأظن أنهما تبادلا بعض الكلمات.

محقق (يقفل دفتره وينظر مباشرة في عيني الراكب):

_ شكرًا لمعلوماتك، ستكون مفيدة للغاية. سنحتاج إلى التحقق من كل التفاصيل، بما في ذلك الأدلة التي تم جمعها.

ترك المحقق الراكب واتجه نحو بعض من زملائه في التحقيق، يشاركهم اخر المستجدات،

بدأت الشكوك تتشكل وتتحول إلى نظريات محتملة، بل كل دليل حتى لو بدا مزيفًا أو مضللاً، يجب أن يُفحص بعناية حتى يفتح ستار الحقيقة.

لكن التحقيق اخذ مجرا خاطئا، بعدم اتخذ المحقق قرارا سريعا، وكأن القطع المبعثرة للأحجية قد وجدت طريقها فجأة لتتناسق معًا.

اقترب مني المحقق بخطوات ثابتة:

_ لحظة من فضلك، سأحتاج إلى التحدث معك أكثر.

(بنبرة متسائلة):

_ هل هناك مشكلة؟ أنا أتعاون بالكامل مع التحقيق.

المحقق (ينظر إليّ مباشرةً):

_ لقد تلقينا معلومات تجعلنا نرغب في استجوابك أكثر. هناك شهادات تشير إلى أنك كنت تتصرف بشكل مريب خلال الرحلة.

(بحالة من الذهول):

_ لكن هذا لا يعني شيئًا. أي شخص يمكن أن يشعر بالقلق في رحلة طويلة.

المحقق (بحزم):

_ نحن ندرك ذلك، ولكن ذكرت أدلة جديدة وخطيرة تحيل بينك وبين الحرية، بالإضافة إلى الصورة التي عُثر عليها مع الضحية، تضعك في مركز الاهتمام. ستحتاج إلى البقاء معنا لمزيد من الاستجواب.

أنا (أشعر بالضغط يزداد):

_ أنا أؤكد لكم أنني بريء. يجب أن تكون هناك تفسيرات لكل هذه الأمور.

بدون خيار آخر، أتبع المحقق إلى غرفة الانتظار المؤقتة، حيث تبدأ عملية التحقيق الأكثر دقة. الأسئلة تنهال عليّ كالمطر، وأنا أحاول جاهدًا تذكر كل تفصيل، كل لحظة قد تثبت براءتي وتكشف عن الحقيقة الغائبة.

المحقق الرئيسي (ينظر إليّ عبر طاولة التحقيق، يخترق نظره نفسي):

_ لنبدأ بالبسيط، أين كنت أثناء الجريمة؟

(بصوت مستقر، أحاول أن أبدو هادئًا):

_ كنت نائمًا في مقعدي، أو هكذا أعتقد. ولا أحد يمكنه التأكيد لأن الجميع كانوا منشغلين بأنفسهم.

المحقق الثاني (يدون ملاحظة، ثم يسأل بنبرة شك):

_ وماذا عن تصرفاتك الغريبة، وكثرة تحركك في الممر؟

_ ربما بدوت قلقًا، لكنني كنت أحاول فقط التمشي قليلاً. القطارات القديمة تجعلني أشعر ببعض الضيق.

المحقق الرئيسي (يتابع بضغط):

_ والصورة التي عُثر عليها في جيب الضحية، صورتك أنت. كيف تفسر ذلك؟

_ لا أعلم كيف وصلت إليه. صورة قديمة لي، يمكن لأي شخص الحصول عليها.

المحقق الثاني (يضيق عينيه):

_ ولكن لماذا هو الضحية؟ وفي ذلك التوقيت؟ هذه ليست مجرد صدفة.

(أتنفس بعمق، أحاول جمع أفكاري):

_ ربما كان يتعقبني لسبب ما، لكنني لا أعرفه ولا أعلم نواياه.

محقق رئيسي (يقترب قليلاً، صوته يحمل وزن السلطة الممتزجة بالسخرية):

_ سلاح الجريمة لم يُعثر عليه بعد. أين تعتقد أنه قد يكون؟

_ لا أعلم شيئًا عن سلاح الجريمة. لم أرَ أي شيء ولم ألمس أي شيء. أنا بريء.

المحققون يتبادلون النظرات، والشك يتزايد في أعينهم. يبدو أن كل إجابة مني تثير المزيد من الأسئلة، والحقيقة تظل غارقة في ضباب الغموض الكثيف.

محقق رئيسي (يميل إلى الأمام، محاولًا قراءة ردود أفعالي):

_ أنت تقول إنك كنت نائمًا، لكن لا يوجد من يؤكد ذلك. لماذا يجب أن نصدقك؟

(أشعر بالضغط لكنني أحاول الحفاظ على هدوءي):

_ لأنه الحقيقة. لم أكن لأرتكب جريمة ثم أعود لأنام بهدوء في مقعدي.

المحقق الثاني (يتدخل، يرفع حاجبيه):

_ لكن النوم يمكن أن يكون حجة مثالية، أليس كذلك؟ وتصرفاتك الغريبة... الركاب لاحظوا ذلك. لم تكن تتجول فقط، كنت تبدو متوترًا، مشتتًا.

_ كنت قلقًا بسبب... بسبب رسالة تلقيتها، لكن هذا لا علاقة له بالجريمة.

محقق رئيسي (يقرع الطاولة بأصابعه، متشككًا):

_ هذه الصورة، يجب أن تكون لها دلالة. ربما كان الضحية يعرفك أكثر مما تعترف. ربما كانت هناك صلة بينكما.

(أحاول أن أبقى متماسكًا):

_ كل ما أعرفه هو أنني لم أقابل هذا الرجل من قبل. الصورة يمكن أن تكون قد سُرقت مني، أو ربما كان يتعقبني لأسباب لا أعلمها.

المحقق الرئيسي (يسجل شيئًا في دفتره، ثم ينظر إليّ مباشرة):

_ حسنًا، سنحتاج إلى مزيد من الوقت لتقييم الأدلة والشهادات. ولكن حتى ذلك الحين، أخشى أننا سنحتاج إلى احتجازك.

(أشعر بالعجز وأنا أدرك جدية الموقف):

_ أنا لا أمانع في التعاون، لكن يجب أن تعلموا أنكم تحتجزون رجلاً بريئًا.

المحققون ينهضون، يغادرون الغرفة ليتركوني وحيدًا مع أفكاري المضطربة، وأنا أحاول معرفة كيف وصلت إلى هذا الوضع العصيب، وكيف سأثبت براءتي في هذه الشبكة المعقدة من الألغاز والشكوك.

راكبة تبدو هادئة ومتأملة، تقترب من المحققين بخطوات واثقة. تبدو على وجهها علامات الإصرار وكأنها تحمل بين طياتها قطعة مفقودة من اللغز.

راكبة (بصوت واضح):

_ عفوًا، لدي معلومات قد تكون مهمة للتحقيق.

المحقق الرئيسي (ينتبه لها، متفاجئًا بتدخلها):

_ نعم؟ وما هي تلك المعلومات؟

_ كنت أجلس خلف الرجل الذي تحتجزونه، وأستطيع أن أؤكد أنه كان نائمًا خلال الوقت الذي يُعتقد أن فيه وقعت الجريمة. لقد كان نومه عميقًا، أنني كنت أضحك أنا وصديقتي على صوت شخيره، يمكنك أن تتأكد من ذلك عندما تستجوبها

_ هل تتذكرين الى ما كنت تشير الساعة حينها؟

_ أظن انه كان على الساعة العاشرة إلا ربع.

_ هذا يغير من الأمر كثيرًا. توقيت التسجيل يتطابق مع توقيت الجريمة المفترض.

بنبرة تحمل انتصارا في طياتها:

_ أرى أن الحقيقة بدأت تظهر. أنا لم أكن لأرتكب أي جريمة وأنام بهذه السهولة.

المحقق الثاني (يشعر بالحرج للخطأ الذي كاد أن يحدث):

_ نحن نعتذر عن الإزعاج الذي تسببنا به لك. سنطلق سراحك فورًا وسنواصل التحقيق للعثور على الجاني.

مع تقديم شهادة الراكبتين، تتبدد الشكوك التي كانت تحوم حولي. الشرطة تدرك الآن أن القاتل ما زال طليقًا، وأن عليهم توسيع نطاق بحثهم، ليشمل اتجاهات جديدة، بينما أستعيد حريتي، وأتنفس الصعداء، ممتنًا للعدالة التي لم تضل طريقها.

بعد أن تنفست الحرية مجددًا، عادت بي الخطوات إلى القطار الذي شهد الحادثة، يدفعني شعور غامر بأن شيئًا ما قد فاتني. أدخل العربة التي ما زالت تحتفظ بصدى الأحداث السابقة، وأتجول بين المقاعد الخالية، أبحث عن أي شيء قد يكون غاب عن بصيرة المحققين.

أتلمس الأسطح، أنظر تحت المقاعد، الرفوف، وأخيرًا، يلفت نظري ظرف مطوي بعناية مخبأ في أحد تلك الرفوف العلوية. بيد مرتجفة،

أسحب الظرف وأفتحه فأجد رسالة تشبه تلك التي عثرت عليها بجانبي، أمسك بالرسالة، وأتعرف على خط يد إيميلي الأنيق. قلبي يخفق بشدة وأنا أفك طيات الورق، أتساءل ما الأسرار التي تحملها هذه المرة.

"سيقودك القدر مرة أخرى وتجد رسالتي، فهي إليك،

في ظلال هذا القطار القديم، حيث تختبئ الأسرار بين صرير العجلات وهمسات الليل، شهدت ما لم يكن يجب أن يُرى. الضحية، الذي لم يعد بيننا الآن، كان يراقبك بعيون ذئب متربص، سمعته يتحدث في هاتفه بصوت خافت، كان يبدو أته يتلقى أوامر من شخص مجهول. كلماته كانت واضحة، "يجب أن يُقتل". قلبي تجمد، وعقلي رفض استيعاب الواقع.

لم يكن لدي خيار، الوحش الذي أحاول دائمًا كبح جماحه بداخلي استيقظ على تلك الكلمات. الوحش الذي أخشاه وأتوارى عنه، وجد طريقه للخروج. لقد وضعت خطة، خطة يائسة لإنقاذك من مصيرك المظلم. لم يكن الأمر سهلاً، لكن الوحش الذي أحمله كان له رأي آخر.

أنا لست بطلة، ولا الوحش داخلي شرير خالص. نحن مجرد كائنات نحاول البقاء على قيد الحياة.

أعلم أن العواقب ستكون وخيمة، لكنني لم أستطع السماح لك بالسقوط في فخ محتوم. أو على الأقل أريدك وجبة لوحشي.
إيميلي"

أغلق الرسالة بيدي التي بدأت ترتجف، وأدرك أن إيميلي قد ضحت بكثير لتحميني حتى ولو كان لدوافع أخرى. الآن، يقع على عاتقي مهمة الكشف عن الشبكة الخفية التي تحيك خيوطها في العتمة، وإيجاد الشخص المجهول الذي كان يريد لي الأذى.
الصدمة تجتاحني كعاصفة هوجاء، وأشعر برجفة تسري في عروقي وأنا أتأمل الحروف المرتعشة التي خطتها إيميلي. الفزع يتملكني، لكن في الأعماق، تتصارع المشاعر وينتصر الحب والوفاء لمن حاولت حمايتي بأغلى ما يرعب.
أعلم أنني أقف على مفترق طرق؛ إما أن أسلم إيميلي للعدالة، أو أحميها كما فعلت هي من أجلي. في لحظة حاسمة، أختار الصمت عن الحقيقة القاسية وأقرر أن أختلق قصة تبعد الشبهات عني وعنها.

عدت إلى المحققين، أحمل معي قصة محبوكة بعناية، وبثقة مصطنعة:

_ أثناء الرحلة، قبل أن أغفو، لاحظت شخصًا يتحدث بنبرة متوترة مع صديقه، لم أستطع سماع ما كان يقول بوضوح، لكنه بدا قلقًا للغاية، أما المشكلة أنه ليس معنى الان...

المحقق رئيسي (ينظر إليّ متسائلاً):

_ هل تقصد أنه نزل في المحطة السابقة؟

_ في هذه الحالة، لا يمكنني تأكيد ذلك، فذلك هو الوقت الذي كنت نائما فيه.

_ هل يمكنك وصف هذا الشخص لنا؟

(أتظاهر بأنني أحاول استرجاع الصورة في ذهني):

_ كان متوسط القامة، يرتدي ملابس سوداء، لا شيء يلفت النظر حقًا. لكنه بدا مضطربًا.

هل رأيته يتفاعل مع الضحية؟

(بتأنٍ):

_ لم أره يتحدث مع أي شخص آخر سوى صديقه، لكنه كان ينظر حوله كثيرًا. أعتقد أنه ربما كان يتوقع لقاء شخص ما.

المحققون يستمعون ويتفهمون أن ما أقوله يمكن أن يكون مجرد ملاحظات عابرة لا تحمل في طياتها الاتهامات أو الأدلة الملفقة. لكن أشعر بالارتياح وأنا أرى أنهم يأخذون كلماتي على محمل الجد بل حتى اتصلوا بقسم الشرطة ليذهبوا فورا إلى المحطة السابقة، ويبدؤون في

توجيه تحقيقاتهم نحو مسار جديد دون أن يقربني ذلك من التحقيق أو يقرب إيميلي.

لكن حينما شهادتي للمحققين، اقتربت راكبة اخر تبدو أنها كانت تسترق السمع، لتدلي بشيء مهم، تتحدث بثقة:

_ عذرًا، سمعت بعض مما قاله ذلك الشخص، أعتقد أن ما يقوله صحيح، لقد رأيت الشخص الذي كان يتحدث عنه.

المحقق رئيسي (ينظر بجدية):

_ وماذا يمكنك أن تضيفي إلى ما قاله؟ هل لديك تفاصيل أخرى؟

نعم، بدا واضحا انه يتحدث بحذر حول جريمة ما ستقع، لكن بعدها لم أستطع سماع كل شيء.

المحقق الثاني (يشجعها على الاستمرار):

_ هل لاحظت أي تفاصيل محددة حول مظهره أو أي شيء قد يساعدنا في التعرف عليه؟

_ كان يرتدي معطفًا داكنًا وبدا أنه يحاول أن يبقى منخفض الحضور، ينظر حوله بقلق.

المحقق رئيسي (يدون الملاحظات الجديدة):

_ شكرًا لمعلوماتك، ستكون مفيدة للغاية في تحقيقنا.

الشهادة الجديدة تعطي مصداقية أكبر لقصتي وتزيد من احتمالية أن يكون هناك مشتبه به آخر، مما يعزز موقفي ويبعد الشبهات عني. أشعر بالامتنان لهذا الراكب الذي بادر بالتحدث، لكن ما يرعبني أكثر هو أن القصة لم تكن واقعية بل من تأليفي لأبعد دائرة الشك من حولي، فلماذا أثبتت الراكبة ذلك أيضا؟ أدركت أن هذا القطار ملعون بكل ما فيه، كلما اتجه نحو الحقيقة اكتشف ان الخيال هو اخر شيء يفسر لي ما يحدث من غموض.

(3)

مع إطلاق سراحي، أخطو خارج المحطة إلى شوارع مانشستر التي تغطيها ظلال الثلاثينيات. الهواء يعبق برائحة الفحم المحترق والمصانع التي تنفث دخانها في السماء الرمادية. العربات التي تجرها الخيول تنساب في الشوارع، ممزوجة بأصوات الحافلات الطويلة ذات الطابقين التي تصدر صريرًا عند كل محطة توقف.

أسير في الشوارع التي بدأت تخلو من صخب النهار، والأصداء البعيدة لخطوات المتأخرين ترافقني، الواجهات الزجاجية للمحلات تحمل صمتًا مهيبًا، وأضواؤها الخافتة ترسم أشباحًا على الرصيف. الهواء البارد يعانق وجهي، يحمل معه رائحة التبغ والبخار المتصاعد من أنابيب الصرف القديمة.

أتجه نحو الفندق القريب، مبنى ذو طراز فيكتوري محفوظ بعناية، يقف شامخًا كشاهد على الزمن الجميل. الباب الأمامي الثقيل مزخرف بنقوش دقيقة، وعند دخولي، أستقبل بدفء الردهة المفروشة بالسجاد الأحمر العميق والثريات البراقة التي تتدلى من السقف المرتفع.

أتنهد بارتياح وأنا أشعر بأنني تركت ورائي وطأة الأحداث المضطربة، وأغمر نفسي في هدوء الفندق، حيث يمكنني أخيرًا أن أجد لحظة سكينة في قلب مانشستر، المدينة التي لا تنام.

أتنفس الصعداء وأنا أعبر اللوبي المفروش بالسجاد الكثيف، حيث تتراقص الأضواء الخافتة على الجدران المزينة بلوحات تحكي تاريخ المدينة. مانشستر في هذا الوقت من الليل، تبدو كجزيرة هادئة وسط بحر من الذكريات، مكان يمكن للمرء أن يفر إليه من العالم الخارجي ويستريح فيه حتى الصباح. تتسرب الهدوء والسكينة إلى الغرفة الدافئة، ومعها يأتي النوم بثقله اللطيف. أغمض عيني، وأترك أحداث اليوم الطويلة تتلاشى في العتمة، وأنا أنزلق ببطء إلى عالم الأحلام.

تبزغ شمس الصباح من وراء الأفق، وتنسل أشعتها عبر الستائر، معلنة بداية يوم جديد. أستيقظ على صوت المدينة الذي بدأ يستعيد نشاطه، وأشعر بالتفاؤل يملأ قلبي. اليوم هو اليوم الذي سأتوجه فيه إلى الشركة التي دعتني لمناقشة عرض عمل مغرٍ.

أتأهب لليوم بنشاط، أرتدي ملابسي بعناية، وأتفقد مظهري في المرآة قبل أن أغادر الغرفة. الفندق يبدو أكثر هدوءً في ضوء النهار، والموظفون يقدمون التحية بابتساماتهم الصباحية الودودة.

أخرج إلى شوارع مانشستر التي تنبض بالحياة. الراكبون يتسارعون نحو أعمالهم، وأنا أشاركهم الخطى، متجهًا نحو مستقبلي المهني المحتمل. الشركة تقع في قلب المدينة، في مبنى يتميز بطراز معماري حديث يعكس التطور والنمو. بخطى واثقة، أدخل إلى الردهة الفسيحة للشركة، حيث تستقبلني موظفة الاستقبال بابتسامة ترحيبية. أخبرها بموعدي، وأجلس في انتظار أن يتم استدعائي لبدء مناقشة فرصة العمل التي قد تغير مسار حياتي.

الشخص المسؤول عن إجراء المقابلة هو السيد "إدوارد بلاك ويل"، وهو اسم يحمل صدى العصر الفيكتوري ويعكس تاريخًا عريقًا في مجال الهندسة المعمارية. استفتحت المقابلة بسؤال السيد بلاك ويل وهو يمد يده للمصافحة:

_ أهلاً بك، أنا إدوارد بلاك ويل، لقد كنت أتطلع لهذا اللقاء. لنبدأ بالحديث عن خبرتك وما يمكنك أن تقدمه لشركتنا.

أنا (مصافحًا بثقة):

_ شكرًا لك، السيد بلاك ويل. لقد كنت دائمًا مفتونًا بالتصميم المعماري الذي يجمع بين الأصالة والابتكار، وأعتقد أن خبرتي في المشاريع التاريخية والمعاصرة يمكن أن تضيف قيمة كبيرة هنا.

_ مثير للاهتمام، أرى أنك عملت على مجموعة متنوعة من المشاريع. هل يمكنك أن تخبرني عن مشروع بعينه تشعر أنه يمثل أفضل ما لديك؟

_ بالطبع، أحد المشاريع التي أفخر بها هو التجديد الذي قمت به لمبنى تاريخي في قلب لندن. لقد كان تحديًا الحفاظ على الطابع الفيكتوري للمبنى مع إدخال عناصر حديثة تلبي احتياجات العصر.

_ هذا بالضبط ما نبحث عنه، القدرة على تكريم الماضي مع التطلع إلى المستقبل. وماذا عن العمل ضمن فريق؟ كيف تصف أسلوبك في التعاون؟

_ أؤمن بأن العمل الجماعي هو مفتاح النجاح في أي مشروع. أنا مستمع جيد ومشارك فعال، وأحرص دائمًا على أن تكون الأفكار متدفقة والحلول مبتكرة.

السيد بلاك ويل (يختتم المقابلة):

_ لقد كان من دواعي سروري التحدث معك. سنقوم بمراجعة جميع المرشحين وسنعود إليك قريبًا. شكرًا على وقتك واهتمامك بالانضمام إلى فريقنا.

(أقف وأصافحه مجددًا):

_ شكرًا لك، السيد بلاك ويل. أتطلع إلى فرصة العمل معكم.

بعد أيام من الانتظار المليء بالترقب، تأتي المكالمة الحاسمة. صوت السيد بلاك ويل يبلغني بالأخبار السارة:

_ تهانينا، لقد تم قبولك للانضمام إلى شركتنا، "بروكفيلد وشركائه للهندسة المعمارية"، ونحن متحمسون لرؤية مساهمتك في مشاريعنا القادمة.

تغمرني موجة من الفرح والإثارة، وأنا أستعد لبدء فصل جديد في حياتي المهنية يوم الاثنين القادم كمهندس معماري في شركة ذات سمعة عريقة. أودع السيد بلاك ويل بكلمات الشكر وأغلق الهاتف، وأنا أشعر بالاعتزاز والشرف لهذه الفرصة.

أعود إلى المنزل، وأثناء سيري في شوارع مانشستر، أقرر الاحتفال بهذه اللحظة بالتسوق من محلات المدينة العريقة. أمر بمتاجر الأزياء التي

تعرض أحدث الأنماط، وأفكر في اقتناء بعض القطع التي تليق بمظهر مهندس معماري في "بروكفيلد". أتوقف أيضًا عند مكتبة قديمة، حيث أبحث عن كتب تتعلق بتاريخ العمارة والتصميم الحديث، لأعزز معرفتي وأستعد للتحديات المقبلة. مع كل خطوة، أشعر بالتوقعات تزداد حول مستقبلي المهني، وأنا أتجول في المدينة التي ستكون مسرحًا لإنجازاتي القادمة. مانشستر، بعمارتها الفيكتوريا وشوارعها الحديثة، تعدني بعالم من الإمكانيات والإبداع الذي أتطلع إلى أن أكون جزءًا منه.

***

أظن أنه حان الوقت ليعرف الجميع من أنا بطل هذه الأحداث، إذا أنا أليستر كريمويل، ابن جورج وآن، المولود في أحضان "بروكنهورست" في نيو فورست، حيث السماء تعانق الأرض والأشجار تروي أسرار العصور. لم يكن لي أخ يشاركني ألعاب الطفولة ولا أخت تقاسمني الضحكات، فكانت الطبيعة رفيقتي والخيال صديقي.

في مدرستي، حيث تناجي الجدران القديمة كل من يقطنها، قادني القدر لألتقي بإيميلي. إيميلي هاربر، التي نشأت في نفس المدرسة الريفية التي كنت أدرس بها، كانت دائمًا تحمل في عينيها تلك البريق الذي يتحدى الأسى. كانت تجد في الكتب والقصائد ملاذًا وفي اللغات جسورًا تعبر بها عن أحزانها وآمالها، تلك الفتاة ذات العيون الفضولية، التي وجدت فيها صدى لروحي. كانت طفولتي معها نسيجًا من الأحلام البسيطة والأيام الهادئة، مع أن الحرب التي كادت تشارك فيها كل دول العالم خلفت بصماتها على الريف الإنجليزي وعلى قلوب الناس. والد إيميلي، الرائد جوناثان هاربر، كان أحد الأبطال الذين لم يعودوا من ساحات القتال، تاركًا وراءه إيميلي وأمها المفجوعة، كاثرين، التي تحملت مسؤولية تربيتها وحدها.

بفضل التشجيع والإلهام، تنقلت من النجاح الدراسي إلى قاعات الجامعة، عندما وصلنا إليها، كانت تلك اللحظة التي تفرقت فيها دروبنا. أنا اخترت الهندسة المعمارية، مسحورًا بالخطوط والأشكال والتصاميم التي تقاوم

زمنًا وتحكي قصصًا، لم تكن مجرد تخصص، بل كانت نداء قلبي. بينما إيميلي، بروحها الشاعرية، اختارت دراسة اللغات، تتلمس بحروفها نبض الثقافات وترسم بكلماتها خرائط لعوالم جديدة.

منذ الأيام الأولى في الجامعة، بدأت أشعر بأن الصداقة التي كانت تجمعني بإيميلي تتحول ببطء إلى شيء أعمق. كانت هناك لحظات، تحت ظلال الأشجار العريقة في الحرم الجامعي، حيث كانت النظرات تتبادل بيننا وتحمل معاني أكبر من مجرد كلمات الصداقة المعتادة.
تطورت علاقتنا بشكل طبيعي وهادئ، كما تنمو الزهور في حديقة سرية. كانت إيميلي ترافقني في مسيراتي الطويلة لاستكشاف العمارة القديمة، وكنت أنا أنصت لها وهي تتحدث بحماس عن الشعر والأدب الذي تدرسه. شيئًا فشيئًا، أصبحنا لا نستطيع تخيل الأيام دون أن نقضيها معًا.
بحلول السنة الأخيرة من الجامعة، كانت علاقتنا قد ازدهرت إلى حب عميق وصادق. كنا نخطط للمستقبل، نحلم بالمشاريع التي سنقوم بها، والأماكن التي سنزورها، والحياة التي سنبنيها معًا. إيميلي كانت بالنسبة لي النور الذي يضيء الطريق، الرفيقة التي تقاسمني الحلم والواقع. كان الاختلاف في مساراتنا الأكاديمية لحظة تحول، لكنه لم يمحُ الذكريات العزيزة ولا الصداقة العميقة التي نسجت بيننا منذ الصغر. فحتى في

غمرة الدراسة والتخصص، ظلت إيميلي الصديقة العزيزة التي تذكرني بأن الحياة، مهما كانت مليئة بالتحديات، فإنها تبقى جميلة وتستحق العيش.
تخرجت وفي عيني بريق الطموح، وبدأت مسيرتي المهنية كمهندس معماري مبتدئ، أحمل في داخلي نار الشغف والإبداع، متطلعًا لأن أخط خطواتي الأولى على درب العظمة وأترك بصمتي في عالم يتغير بلا هوادة.
بتخرجي من الجامعة، كانت العلاقة بيننا قد وصلت إلى نقطة نضج، حيث كان كل منا يدعم الآخر في مساعيه وطموحاته. كان الفراق الذي فرضته اختلاف مساراتنا المهنية صعبًا، لكننا كنا نعلم أن ما بنيناه سيظل راسخًا، قويًا أمام تحديات الزمن.

كنت أنا وإيميلي نجلس على ضفة نهر هادئ، حيث السماء تتلون بألوان الغسق والماء يعكس الأضواء الخافتة للمدينة. همساتنا تمتزج مع خرير الماء، ويداها في يدي تبعثان الدفء في قلبي. نتبادل الوعود الصامتة والنظرات التي تحمل أسرار القلوب، وكأن العالم من حولنا قد توقف للحظة ليشهد على عمق ما بيننا.

كانت إيميلي تنظر إليّ بعينين تشعان محبة وأمان، وهي تقترب لتهمس في أذني، "مهما كانت الطرق التي سنسلكها، سيظل قلبي معك." وأنا أرد عليها بكلمات مختنقة بالعاطفة، "وأنا، مهما بعدت المسافات، سأظل أحملكِ في أعمق أعماقي."

فجأة، يقطع الحلم صوت المنبه الصاخب، يعيدني إلى الواقع. أفتح عيني لأجد نفسي في غرفتي، وقد حان وقت الاستيقاظ. الحلم يتلاشى، لكن الشعور بالحب لا يزال يلفني كالغطاء الدافئ. أتنهد بعمق وأنا أتذكر أن اليوم هو اليوم الأول في وظيفتي الجديدة.

أستيقظ مع أولى خيوط الفجر الرقيقة، أنهض من السرير، أحاول أن أحتفظ بالسلام الذي منحتني إياه لحظات الحلم مع إيميلي، وأبدأ في التحضير ليومي. العمل الجديد ينتظرني، وأنا متحمس لما يحمله من تحديات وفرص جديدة، لكن في قلبي أعلم أن جزءًا مني سيظل دائمًا معلقًا بذكريات الأمس الجميلة مع إيميلي.

أتناول فطورًا خفيفًا وأرتدي بزة العمل الأنيقة التي اخترتها بعناية. أخرج من الباب، وأنا أتنشق هواء الصباح البارد والنقي، الذي يملأ رئتي بالحيوية والتفاؤل.

أسير في الشوارع التي بدأت تستيقظ تدريجيًا، متجهًا نحو محطة القطار من جديد حيث أستقل القطار المتجه إلى مركز المدينة. الركاب من حولي يبدون مشغولين بأفكارهم، كلٌ يستعد ليومه الخاص.

أصل إلى مبنى الشركة، 'بروكفيلد وشركائه'، الذي يقف بشموخ بين المباني الأخرى. واجهته الحجرية تحكي قصص العقود الماضية، والنوافذ الزجاجية الكبيرة تعكس السماء الصافية. الباب الأمامي العريق يفتح لي أبواب المستقبل.

داخل الشركة، يستقبلني اللوبي الواسع بأرضيته الرخامية وجدرانه المزينة برسومات معمارية وموديلات لمشاريع سابقة. الأصوات المكتومة للمحادثات وطقطقة الآلات الكاتبة تملأ الجو بنغمة الإنجاز.

أتوجه إلى مكتبي الجديد، غرفة مضاءة بضوء طبيعي يتسرب من نافذة كبيرة تطل على المدينة. المكتب مجهز بكل ما أحتاج: مكتب خشبي واسع، كرسي مريح، وأرفف تحمل كتب العمارة والتصميم. أشعر بأن هذا المكان سيكون خلية الإبداع الخاصة بي.

أبدأ يومي بمراجعة البريد الإلكتروني والتخطيط للمشاريع التي سأعمل عليها. ألتقي بزملاء جدد وأتبادل معهم الأفكار، ونشارك في اجتماعات تحضيرية حيث تتشكل الرؤى وتولد الإستراتيجيات. الساعات تمر سريعًا بين الرسم والتصميم والتشاور مع المهندسين والمصممين الآخرين.
مع حلول المساء، أرتب مكتبي وأجمع أوراقي، متأملاً في يوم عملي الأول الناجح. أغادر الشركة وأنا أشعر بالرضا والحماس للأيام التي ستأتي، وأعلم أن كل يوم سيكون فرصة جديدة للتعلم والنمو في مهنتي كمهندس معماري.

* * *

بعد أشهر من العمل الشاق والتفاني في الشركة، وبعد أن حققت تقدمًا ملحوظًا وحصلت على ترقية، وجدت نفسي أغوص في أعماق تاريخ الشركة بطريقة لم أكن أتوقعها.
يبدأ كل شيء في أحد أيام العمل الروتينية، وجدت نفسي وحيدًا في المكتب. كان الجميع قد غادروا، وتركوا وراءهم صمتًا يكاد يكون ملموسًا، وكان الهدوء يسود المكان ما عدا صوت طقطقة مفاتيح الآلة الكاتبة تحت أناملي، وبينما كنت أفحص الأدراج العتيقة لأحد المكتب الذي كان يعود لأحد المديرين السابقين، لفت انتباهي درج عالق بشكل

غير عادي، بعد بعض الجهد، تمكنت من فتحه لأكتشف مساحة خفية بداخله. قلبي تسارع وأنا أستخرج الملف الذي كان مخبأً هناك، ملف يحمل عنوانًا غامضًا وتاريخًا يعود لأيام الحرب العالمية، الملف الذي عثرت عليه لم يكن مجرد وثيقة تاريخية، بل كان مفتاحًا لفهم الأحداث الغامضة التي أحاطت بوفاة الرائد جوناثان هاربر، والد إيميلي.

الرائد هاربر كان رجلاً ذا مبادئ وشجاعة، يتمتع بحس وطني قوي. خلال خدمته، اكتشف بالصدفة أدلة على تعاون بين "بروكفيلد وشركائه" والقوات الإيطالية، حليفة دول المحور. وجد ملفات تحتوي على تفاصيل صفقات وتعاقدات تشير إلى تورط الشركة في تجارة حرب وتوفير موارد وتبادل المعلومات الحساسة ومعلومات استراتيجية قد تكون أثرت على مجريات الحرب.

عندما بدأ يحقق في الأمر، وصلت أخبار تحرياته إلى أذني القيادة في 'بروكفيلد وشركاه'. الشركة، التي كانت تخشى فضح أسرارها وفقدان مكانتها وثروتها، قررت أن يجب التخلص من الرائد هاربر لضمان صمته الأبدي. حيكت مؤامرة داخل أروقة الحرب لتصفيته، مما أدى إلى موته بطريقة بدت للعيان كأنها مجرد خسارة أخرى في ساحة المعركة.

الآن، وأنا أحمل بين يدي الدليل الذي قد يغير كل شيء، أشعر بالوزن الثقيل لهذا الاكتشاف. هل أجازف بكل ما بنيته لأعيد العدالة لرجل قُتل

من أجل الحقيقة؟ هل أكشف الخيانة التي قد تهز أسس الشركة التي أعمل بها؟

كانت أمامي قرارات صعبة. أدرك أن الطريق الذي سأختاره سيكون مليئًا بالتحديات وربما الخطر. لكن في قلبي، أعلم أن الصمت ليس خيارًا عندما يتعلق الأمر بالعدالة والشرف. ومع ذلك، يجب أن أكون حذرًا وأخطط لكل خطوة بعناية، فالأعين التي تراقبني لن تتوانى عن إسكاتي إذا شعرت بالتهديد.

فجأة، أحسست بأنني لست وحدي. كان هناك شخص في الظلال يراقبني. لم أتمكن من رؤية وجهه، لكن الشعور بالخطر كان واضحًا. في تلك اللحظة، أدركت أن اكتشافي للملف لم يكن بالصدفة، وأن هناك من كان يعلم بوجوده وينتظر ليرى ما سأفعل.

مع انكشاف أمري، بدأت سلسلة من الأحداث المتسارعة. أصبحت مطاردًا في كل مكان أذهب إليه، وكان عليّ أن أتخذ خطوات حذرة لحماية نفسي. أعدت الملف إلى مكانه السري، محاولًا إخفاء أي دليل على أنني وجدته. وفي الوقت نفسه، بدأت بتدوين كل ما قرأته وتذكرته من الملف، مستعدًا للخطوة التالية.

بعد التفكير في الأمر، قررت الاتصال بصحفي معروف بتغطيته لقضايا الفساد والمؤامرات السياسية. كان هذا الصحفي يمكن أن يكون حليفي في

كشف الحقيقة. أعطيته نسخة من الملفات وشرحت له القصة كاملةً. أصبحت القضية الآن ليست فقط بيني وبين الشركة، بل أصبحت قضية عامة قد تجذب انتباه الجمهور والسلطات.

بالتوازي مع ذلك، وبناءً على نصيحة الصحفي، بدأت في التخطيط لكشف القضية عبر وسائل الإعلام. إذا تمكنت من جعل المعلومات معروفة للعامة، سيكون من الصعب على الشركة أو أي طرف آخر محاولة إسكاتي دون أن يثيروا الشبهات.

وهكذا، مع تحالفي مع الصحافة واستعدادي للكشف العلني، وضعت نفسي في موقع يمكنني من الحماية والهجوم في الوقت نفسه. كنت مستعدًا لمواجهة ما يلي، ولكني كنت أيضًا على يقين من أن الحقيقة يجب أن ترى النور، مهما كان الثمن.

وككل يوم، أدخل إلى الشركة محملاً بالأسرار التي اكتشفتها، أحيي الحارس بابتسامة متوترة وأتجه مباشرة إلى مكتبي. في الرواق أتبادل النظرات مع السيدة هاميلتون، التي تراقب كل خطوة أقوم بها بعينين حادتين. أشعر بثقل نظراتها تتبعني، لكن هذه المرة فتحت حوارا معي كان غريبا بحق.

السيدة هاميلتون (بنبرة حادة ومحملة بالسخرية):

_ أها، إنه أليستر، النجم الصاعد. أخبرني، كيف تجد العمل في الأرشيف؟ هل هو ممتع بقدر ما تبدو عليه؟

_ كل يوم هو فرصة للتعلم، السيدة هاميلتون. وأنا ممتن للفرصة التي أُتيحت لي لاستكشاف تاريخ الشركة.

السيدة هاميلتون (بتهكم):

_ تاريخ الشركة، أجل... تأكد فقط أن 'استكشافك' لا يقودك إلى حيث لا يجب. بعض الأبواب من الأفضل أن تبقى مغلقة.

_ أقدر قلقك، لكن يمكنك الاطمئنان إلى أنني أدرك أهمية الحفاظ على سمعة الشركة ومكانتها.

أنهت السيدة هاميلتون الحوار بنظرة محملة بالشك والريبة، مشيرة إلى أنها ستكون يقظة لأي خطوة أقوم بها، مما يزيد من حذري ويؤكد أنني يجب أن أتحرك بحكمة فيما يتعلق بالمعلومات التي اكتشفتها.

أثناء استراحة الغداء، أجد لحظات من الراحة في حديث هادئ مع توماس، الذي يقدم لي الدعم ويذكرني بأنني لست وحيدًا في هذا الصراع. نتشارك الضحكات والقلق بنفس القدر، توماس (بقلق):

_ أليستر، لقد لاحظت أنك متوتر في الآونة الأخيرة. هل كل شيء على ما يرام؟

_ أجل، هناك بعض الأمور التي تشغل بالي، أمور تتعلق بالعمل.

توماس (ينظر حوله ثم يخفض صوته):

_ هذا ليس مجرد شيء عادي، أليس كذلك؟ أعرفك جيدًا، وأستطيع أن أقول عندما تكون هناك مشكلة كبيرة. يمكنك الوثوق بي.

_ إنها قضية معقدة، توماس. اكتشفت شيئًا قد يغير الكثير من الأمور هنا، ولست متأكدًا من كيفية التعامل معها.

_ أليستر، مهما كانت هذه الأمور، أنا هنا لأدعمك. نحن لسنا مجرد زملاء عمل، نحن أصدقاء. إذا كنت بحاجة إلى مساعدة أو مجرد شخص تتحدث معه، أنا هنا لك.

_ أشكرك، توماس. قد أحتاج إلى ذلك قريبًا.

انتهى الحوار معه بشعور بالراحة لوجود صديق مثل توماس يمكن الاعتماد عليه في الأوقات الصعبة

أما بعد الظهر، فشعرت بأعين تتربص بي وأنا أتحرك عبر الممرات وأعمل على مشاريعي. أحاول أن أبقى مركزًا، لكن جزءًا من ذهني يظل يقظًا، يترقب أي علامة على الشخص الذي يطاردني. كل خطوة أخطوها تبدو وكأنها جزء من لعبة شطرنج خطيرة، حيث كل حركة يمكن أن تكون حاسمة.

مع اقتراب نهاية اليوم، أجمع أوراقي بعناية، أتأكد من إغلاق كل الملفات، وأخفي أي أثر للمعلومات التي قد تكشف عن الأسرار التي وجدتها. أترك المكتب بقلب ينبض بالقلق، وأنا أخطط للخطوة التالية في هذه القصة المعقدة التي أجد نفسي غارقًا فيها.

حتى يعترض طريقي المدير مسبب لي كم هائلا من الرعب هذا وأنني لم أتوقع وجوده هنا، هذا وانه لم يبقى أحد سوى المدير وأنا في الشركة.

السيد برونسون (بنبرة متوترة ولكنها هادئة):

_ أليستر، لقد سمعت أنك تقضي وقتًا طويلًا في الأرشيف. أتمنى أن تكون قد وجدت ما يفيدك في مشاريعك.

_ نعم، الأرشيف مليء بالكنوز. الماضي يمكن أن يكون مصدر إلهام للمستقبل، أليس كذلك؟

السيد برونسون (يحاول قراءة ردود أفعالي):

_ بالتأكيد، ولكن هناك أمور من الماضي يفضل أن تبقى هناك... لمصلحة الجميع. أتمنى أن تكون مدركًا لهذا.

(أومئ برأسي بتفهم):

_ أدرك تمامًا. وأقدر الثقة التي منحتني إياها الشركة. أعتقد أن التركيز على الحاضر وبناء المستقبل هو ما يجب أن نهتم به.

السيد برونسون (يقترب قليلاً):

_ أحسنت. فقط تذكر، أليستر، أن بعض الأسرار لها القوة لتغيير مجرى الأحداث وليس دائمًا للأفضل. أتمنى أن تكون قراراتك موجهة نحو الحفاظ على استقرار الشركة وسمعتها.

_ أنا ملتزم بما هو أفضل للشركة، ولكني أؤمن أيضًا بأهمية النزاهة والشفافية. سأحرص على أن تكون قراراتي متوازنة ومدروسة.

السيد برونسون (بنظرة ثاقبة):

_ جيد، أتوقع منك ذلك. وأنتظر أن أرى النتائج المثمرة لبحثك."

بعد شهر من البحث والتحري، وبالتعاون مع حلفائي، نجحت في وضع خطة دقيقة لضمان تحقيق العدالة. في اجتماع سري مع المحامي البارز، السيد جيفري ارمسترونغ، والصحفية المتمرسة، لورا سيمونز، ناقشنا الخطوات القادمة.

السيد ارمسترونغ (بجدية):

_ أليستر، الأدلة التي جمعتها لا تقدر بثمن. لكن يجب أن نكون حذرين كيف نستخدمها. الكشف عن هذه المعلومات يجب أن يكون محسوبًا بعناية.

لورا (بحماس):

_ هذه القصة يمكن أن تكون السبق الصحفي للعام. لكننا نحتاج إلى توقيتها بشكل مثالي، ونضمن أن الرأي العام على جانبنا.

_ أفهم المخاطر، وأنا ممتن لدعمكما. نحن بحاجة إلى كشف الحقيقة بطريقة لا تضر بالأبرياء وتحمي المبلغين مثلي.

السيد ارمسترونغ:

_ أول خطوة هي تأمين جلسة استماع مغلقة مع السلطات المعنية. سأتولى ترتيب ذلك.

لورا:

_ وأنا سأبدأ بإعداد تقرير مفصل. عندما يحين الوقت، سنحتاج إلى تغطية إعلامية واسعة لضمان شفافية العملية.

مع اتفاقنا على الخطة، وضعنا موعدًا للكشف العام عن القضية، مع التأكد من أن لدينا كل الحماية القانونية اللازمة. كانت الأشهر التي قضيتها في جمع الأدلة والتواصل مع الحلفاء أخيرًا ستؤتي ثمارها. كنت مصممًا على أن الحقيقة ستنتصر، وأن العدالة ستسود.

وضعت الخطة بعناية فائقة، وحان الوقت لكشف القضية. كان يوم الكشف يومًا مشحونًا بالتوتر والترقب. كل شيء كان معلقًا على هذه اللحظات الحاسمة.

في الصباح الباكر، اجتمعت مع المحامي جيفري ارمسترونغ والصحفية لورا سيمونز في مكتب جيفري، حيث أخذنا نراجع الخطوات النهائية لخطتنا. كانت لورا قد أعدت موادها الصحفية بشكل محكم، بينما أكد جيفري أن جميع الإجراءات القانونية قد تم تأمينها.

بعد ذلك، توجهنا إلى مكان الكشف، وهو قاعة مستأجرة كانت قد تم تجهيزها بالكامل للصحفيين والمهتمين. كان الجو مشحونًا بالكهرباء والتوقعات. بدأت القاعة تمتلئ بالوجوه المترقبة، وكان الصحفيون يتحدثون بصوت خافت، يتبادلون التكهنات حول طبيعة الكشف.

في الموعد المحدد، صعدت إلى المنصة، وكان جيفري إلى جانبي، ولورا تستعد لتسجيل ردود الأفعال. بدأت بالتحدث، صوتي متماسك ولكن بداخلي عاصفة من المشاعر.

_ سيداتي وسادتي، أشكركم على حضوركم اليوم. ما سأكشفه لكم هو نتيجة تحقيق شامل ودقيق في تاريخ شركة بروكفيلد العريقة.

ثم انتقلت إلى جوهر الموضوع:

_ لقد عثرت على وثائق تعود إلى الحرب العالمية الأولى تشير إلى تعاون بين 'بروكفيلد وشركاه' وقوات دول المحور. هذا التعاون لم يكن مجرد مساعدة اقتصادية، بل كان يشمل تبادل معلومات استراتيجية استُخدمت في الحرب.

أضفت معلومات عن الرائد هاربر:

_ الرائد جوناثان هاربر، الذي كان يحقق في أمر الشركة، اكتشف هذا التعاون وقرر أن يتخذ خطوات لوقفه. ولكن، للأسف، لم يعد من الحرب، والدلائل تشير إلى أن وفاته لم تكن مجرد صدفة.

وختمت بتأكيد الأهمية الأخلاقية للكشف:

إن الكشف عن هذه المعلومات ليس مجرد واجب تجاه تاريخنا، بل هو أيضًا خطوة نحو الشفافية والمسؤولية. نحن ملتزمون بالحقيقة ونعمل على تصحيح أخطاء الماضي.

بعد الكشف، بدأت الأسئلة تنهال عليّ من كل جانب. كان الصحفيون يطرحون أسئلة حادة ومباشرة، وكنت أجيب بكل صدق وشفافية، مدركًا أن الحقيقة التي كشفتها ستكون لها تداعيات كبيرة.

الصحفي 1:

_ أليستر، ما هو تأثير هذا الكشف على شركتك؟

_ إنه يضعنا في موقف صعب، بالطبع. لكننا نؤمن بأهمية الشفافية والمسؤولية، ونحن ملتزمون بمواجهة هذا الأمر وتصحيحه.

الصحفي 2:

_ ماهي الإجراءات التي تتوقع أن تتخذها الشركة الان بعد هذا الكشف العام؟

_ من الصعب أن اتكهن برد فعل الشركة، لكن بالنسبة لمستقبلي، فأنا مستعد لمواجهة أي تداعيات.

الصحفي 3:

_ بعد هذا الاكتشاف، هل تلقيت أي تهديدات أو شعرت بأي خطر؟

_ الان أصبحت أكثر يقظة بالنسبة لأمني الشخصي، واظن انني اتخذت جميع الاحتياطات اللازمة.
لم يكن الوقت مناسبًا لإجراء مقابلة تفصيلية مع الصحافيين، لذا اكتفيت بتقديم بيان موجز وقوي أمام كل سؤال قدم إلي.

انتهى اليوم بشعور عميق بأن العدالة قد انتصرت، وأن الحقيقة التي كانت مخفية لعقود قد أُحضرت أخيرًا إلى النور. كان الطريق طويلًا ومحفوفًا بالمخاطر، لكن في النهاية، شعرت بأنني قمت بالشيء الصحيح.

" أليستر،
لقد أغلقت عليك الأبواب التي كان يجب أن تظل موصدة. لقد جلبت الضرر والعار لمن كانوا يعتبرونك أحد أفرادهم. الخيانة لا تُغتفر والعواقب ستكون وخيمة.
لقد حذرناك، لكنك اخترت تجاهل تحذيراتنا. أفعالك لم تمر دون عقاب. الآن، أنت في مرمى النيران، والظلام الذي تحاول الهروب منه يطوقك. الكشف الذي قمت به لا يمكن التسامح بشأنه. لقد فتحت الباب لنهايتك. هذه ليست مجرد تهديدات فارغة، بل هي وعود بالقصاص.
تذكر أن العيون التي تراقبك لا تغفل، واليد التي ستصل إليك لن تتردد. استعد للعواقب، فالعدالة التي تبحث عنها ستكون سيفًا مسلطًا على رقبتك.
اعتبر هذه الرسالة آخر تحذير لك. أوقف تحرياتك واختفِ إذا أردت أن تعيش.
- الظل الذي يتبعك"

أدركت بعد قراءة الرسالة أن الخطر الذي أواجهه لم يعد مجرد تهديد بالكلمات، بل تحول إلى واقع محتمل. كان الوقت قد حان لاتخاذ إجراءات

جدية لضمان سلامتي واستشارة المحامين والصحفيين لتحديد كيفية الرد على هذه التهديدات المميتة.

دخلت المنزل مسرعا، اتجهت إلى الهاتف ثم أمسكت به بيد مرتجفة، أدركت أن الوقت قد حان للتحرك وأنني بحاجة إلى مساعدة عاجلة. أدخلت رقم توماس وانتظرت بقلق حتى يجيب.

توماس (بصوت متسائل):

_ أليستر؟ مرحبا.

أنا (بصوت مضطرب):

_ توماس، أنا... أنا بحاجة إلى مساعدتك. وجدت رسالة تهديد بالقتل في صندوق بريدي. أنا لا أعرف ماذا أفعل، أشعر بأنني لست آمنًا هنا.

توماس (بقلق عميق):

_ حسنًا، حسنًا. ابقَ هادئًا. أنا في طريقي إليك الآن. هل أبوابك ونوافذك مقفلة؟

أنا (أتفقد الأبواب والنوافذ بسرعة):

_ نعم، كل شيء مقفل. لكني أشعر بأنني مراقب.

_ لا تقلق، سأكون هناك في بضع دقائق. لا تفتح الباب لأي شخص حتى أصل. وعندما أصل، سنغادر مباشرةً.

_ شكرًا لك، توماس. أنا... أنا فقط لم أتوقع أن تصل الأمور إلى هذا الحد.

_ سنتعامل مع هذا معًا، أليستر. فقط تماسك حتى أصل.

أغلقت الهاتف وأنا أحاول استعادة شيء من الهدوء، متشبثًا بالأمل الذي منحني إياه صديقي توماس. كل دقيقة تمر تبدو كساعة، وأنا أنتظر بفارغ الصبر وصوله بل كانت الدقائق تتساقط كحبات الرمل في ساعة الزمن، ثقيلة وبطيئة، الصمت المحيط بي كان مطبقًا، مليئًا بالتوتر والترقب. وفي لحظة غير متوقعة، شق صمت الليل صوت خافت، خرير يكاد لا يُسمع من الغرفة التي نسيت فحصها.
قلبي تسارع، وأنا أقف على قدمي، أتجه نحو الباب المغلق. كانت يدي ترتجف وأنا أمسك مقبض الباب، أتنفس بعمق وأدفع الباب ببطء. في تلك اللحظة، شعرت بأن الزمن توقف، وفجأة، مع صرير الباب المتحرك، انفجرت الغرفة في وابل من اللهب والدخان.
الانفجار كان عنيفًا، يهز أركان المنزل ويملأ الهواء بصوت دوي مدوٍ. شعرت بالأرض تهتز تحتي، وكأن السماء قد انقلبت. قوة الانفجار رمتني بعيدًا، وأنا أحاول بيأس حماية وجهي بذراعي، ولكن الظلام سرعان ما التهم كل شيء.

في تلك اللحظات القليلة، كانت الحياة تتمرغ في حافة الموت، والوقت كان ينساب بين أصابعي كأنه ماء. ومن ثم، غلفني الظلام الدامس، وفقدت

الوعي، غارقًا في بحر من الصمت الأبدي، بعيدًا عن الألم، بعيدًا عن الخوف، بعيدًا عن كل شيء.

(4)

توماس، الذي وصل في الوقت المناسب، وجد المنزل يتصاعد منه الدخان وسط صدمة لا توصف. بعد أن دفع الباب المحطم جانبًا، رأى جسدي ملقى على الأرض، محاطًا بالفوضى والدمار الذي خلفه الانفجار. دون تفكير، حملني بين ذراعيه وهرع إلى المستشفى، حيث تمت معالجتي على الفور.

الأطباء عملوا بسرعة لتقييم إصاباتي، وأنا هناك مستلقٍ، بين الوعي واللاوعي، مفقودًا في غيمة من الضباب. توماس، في حالة من القلق الشديد، اتصل بالمحامي جيفري ارمسترونغ والصحفية لورا سيمونز، ليخبرهما بما حدث.
لم يمض وقت طويل حتى وصل جيفري ولورا إلى المستشفى، حيث وجدا توماس في حالة من التوتر الشديد. جلسوا جميعًا في غرفة الانتظار، يتبادلون النظرات المتوترة والتكهنات حول من قد يكون وراء هذا العمل الشنيع.

وفي تلك الأثناء، في غرفة العلاج، بدأت أستعيد وعيي ببطء. الأصوات من حولي كانت مكتومة، والألم كان حادًا ومستمرًا. رفعت جفوني بصعوبة لأجد نفسي تحت الأضواء البيضاء الساطعة للمستشفى، غير مدرك تمامًا لما حدث أو كيف وصلت إلى هنا.

"أين أنا؟ ما الذي حدث؟" كانت هذه الأسئلة تتردد في ذهني، لكن الكلمات لم تخرج. كان الجهد للتحدث أو حتى التفكير شاقًا. ومع مرور الوقت، بدأت الأحداث تتجمع في ذهني مثل قطع اللغز، وأدركت أن الخطر الذي كنت أخشاه قد أصبح الآن واقعًا مروعًا.
مع انتشار الخبر عن الانفجار الذي وقع في منزلي، بدأت وسائل الإعلام تغطي الحادثة بشكل مكثف، وتحولت القضية إلى موضوع ساخن يتناوله الجميع في البلاد. الشرطة، بدورها، بدأت تحقيقًا أوليًا لمعرفة ملابسات وأسباب الحادث، خاصة بعد الأدلة التي تم عرضها في المقابلة التي أجريتها قبل الحادثة بوقت قصير.

المحققون سارعوا في جمع الأدلة من موقع الانفجار وتحليلها، بحثًا عن أي خيوط قد تقودهم إلى الجاني أو الجناة. كانت الأسئلة تدور حول ما إذا

كان الانفجار محاولة اغتيال مباشرة نتيجة للمعلومات التي كشفتها، وما إذا كانت هناك صلة مباشرة بين الشركة والحادث.

في المستشفى، كنت لا أزال تحت المراقبة الطبية الشديدة، وحالتي الحرجة منعت الشرطة من التحدث معي للحصول على مزيد من المعلومات. كان الأطباء يكافحون لاستقرار حالتي، وكل تركيزهم كان منصبًا على إنقاذ حياتي.

توماس، جيفري ولورا، بدورهم، كانوا يتابعون الأحداث عن كثب ويحاولون تقديم كل ما يمكن من معلومات للشرطة، مؤكدين على أهمية حماية الأدلة التي كشفتها وضمان عدم ضياعها وسط الفوضى التي أعقبت الحادث.

وفي هذا الوقت، كانت البلاد تنتظر بتوتر لمعرفة ما إذا كانت الحقيقة التي بدأت تظهر إلى النور ستجد طريقها إلى العدالة، أم أن الأيدي التي حاولت إسكاتي ستنجح في طمس الحقائق مرة أخرى.

في المستشفى، كنت أرقد على سرير أبيض، محاطًا بأجهزة المراقبة التي تنقر كل نبضة قلب بإيقاع منتظم. الأنابيب والأسلاك كانت تشبه الأعشاب البحرية التي تتمايل مع تيارات المحيط الهادئة. فتحت عيني مرة اخرى، كانت الغرفة مليئة بالضوء الخافت. الأصوات كانت مكتومة في البداية،

لكن ببطء بدأت تتضح. توماس كان أول من لاحظ أنني استعدت وعيي، وبسرعة استدعى الأطباء.
سألني توماس بصوت يحمل خليطًا من الارتياح والقلق:
_ أليستر، أنت بخير؟
أومأت برأسي بتعب، وحاولت التحدث لكن الكلمات كانت ثقيلة وغير متماسكة، كانت الحاجة للتحدث عن الحقيقة تحرقني من الداخل، لكن الجسد كان يطالب بالراحة.

في الأيام التالية، ومع تحسن حالتي، بدأت أجري مقابلات مع المحققين، أسرد لهم كل ما أعرف، وأشدد على أهمية الأدلة التي كشفتها. كانت البلاد تراقب بانتباه، وكل شخص كان ينتظر ليرى إذا ما كانت عجلة العدالة ستدور بالفعل.

بينما كنت أستعيد قواي في المستشفى، جاء المحققون ليأخذوا إفادتي. كان المحقق الرئيسي، الذي عرف نفسه بأنه المحقق ستيفنز، يجلس بجانب سريري، مع دفتر ملاحظاته مفتوحًا وقلم جاهز في يده.
_ أليستر، نحن نقدر أن تتحدث معنا اليوم. نود أن نعرف كل ما يمكنك تذكره عن الوثائق التي وجدتها وكيف يمكن أن تكون مرتبطة بالشركة.
بصوت أقوى قليلاً من الهمس، أجبت:

_ الوثائق التي وجدتها ليست مجرد أوراق قديمة. إنها تحمل توقيعات ومراسلات بين كبار المسؤولين في "بروكفيلد" وممثلين للقوات الإيطالية.

_ وهل هناك شيء محدد يمكن أن يعتبر دليلاً قاطعًا على تورط الشركة؟

أغمض عيني للحظة، ثم أتذكر:

_ نعم، هناك دليل. في إحدى الوثائق، هناك خطاب موقع من قبل الرئيس التنفيذي الأسبق للشركة يوافق فيه على توريد مواد ومعلومات حساسة. والأهم من ذلك، هناك ملحق سري يتضمن مخطط لتحويلات مالية كبيرة إلى بنك في روما، وهو ما يمثل الدفعة مقابل هذه المعلومات.

_ هل يمكنك تحديد هذا البنك أو توفير أي تفاصيل إضافية قد تساعدنا في التحقيق؟

_ البنك مذكور بالاسم في المخطط، والتفاصيل المالية مفصلة بدقة. كما أن هناك مراسلات بين الرئيس التنفيذي ومسؤول إيطالي تؤكد الصفقة. إذا تمكنتم من الوصول إلى سجلات ذلك البنك، فستجدون الأدلة التي تحتاجونها.

المحقق ستيفنز كتب بسرعة في دفتره، وهو ينظر إليّ بنظرة تخلط بين الإعجاب والجدية:

_ هذا ما نحتاجه بالضبط، أليستر. سنتحرى هذه الخيوط فورًا. إفادتك قد تكون القطعة التي تكمل اللغز.

بهذا الإفصاح، شعرت بأنني قدمت شيئًا مهمًا قد يساعد في تحقيق العدالة. كانت الحقيقة قد بدأت تشق طريقها إلى النور، وكانت الشركة، التي طالما عملت بها، على وشك أن تواجه ماضيها الذي حاولت طويلاً إخفاءه.

في الوقت الذي أذهب بي النوم إلى عالم الأحلام وتحت غطاء الليل الذي يلف المستشفى بصمته، دخلت إيميلي الغرفة بخطوات واثقة وعينين تشتعلان بنيران الغضب. كانت تحمل في يدها رسالة مكتوبة بخط يد متزن، تنضح بسخرية مريرة وعزم على الانتقام. وضعت الرسالة بجانبي بحركة حاسمة، وفيها كتبت:

" أليستر،

لقد حان الوقت للشركة أن تدفع ثمن سنوات من الخداع والكذب. لقد عرفت كل خطوة في التحقيق، وأعلم الآن أنهم هم السبب وراء موت والدي.

أشعر بالسخرية من مدى غبائهم، إذ ظنوا أن بإمكانهم التخلص منا بهذه السهولة. لكنهم لم يحسبوا حساب إيميلي هاربر. لقد بدأت لعبتي الخاصة، وأعدك، ستكون لعبة لن ينسوها.

سأستخدم كل ما أعرفه، كل ما تعلمته، لأجعلهم يندمون على كل خطيئة ارتكبوها. لن أرتاح حتى أرى العدالة تتحقق والشركة تتلقى جزاءها.

لا تقلق بشأني، فأنا لا أخشى اللعب بالنار. وإذا كانوا يعتقدون أن الانفجار الذي كاد يقتلك سيثنيني عن المضي قدمًا، فهم مخطئون تمامًا.
انتظر وشاهد، فالعرض لم يبدأ بعد.
بكل الحب والغضب،
إيميلي."

كانت الكلمات تحمل وزن الألم والعزم، وكان واضحًا أن إيميلي لن تسمح للظلم الذي وقع على والدها أن يمر دون عقاب. كانت الرسالة تعبيرًا عن قوة إيميلي وإرادتها الصلبة في مواجهة الشركة التي دمرت عائلتها وحياتها وحياة والدها.

***

في العمق المظلم لليلة عاصفة، حيث الرياح تعوي بين الأزقة وتهز النوافذ، وقعت أحداث جرت بصمت، بعيداً عن الأعين الفضولية والآذان الصاغية. شركة "بروكفيلد وشركائه"، البيت المالي العريق للهندسة المعمارية الذي كان يبدو كالسفينة الضخمة التي لا يمكن للعواصف أن تزعزعها، وجد نفسه فجأة يترنح كأن أمواج ضربته.

لم يكن هناك صراخ أو صدى، لكن الصباح كشف عن غياب يكتنفه الغموض. مدير الشركة وبعض الشخصيات الرئيسية، الذين كانوا يعبرون الردهات بثقة وسلطة، اختفوا دون أثر. مكاتبهم التي كانت تعج بالحياة والنشاط، كانت الآن مجرد صدى لما كانت عليه، مع أوراق مبعثرة وأكواب قهوة نصف فارغة تشهد على رحيل مفاجئ وغير متوقع. الشرطة وصلت إلى المكان بسرعة، وبدأت في تحري الأمر بكل جدية. الأبواب لم تُكسر، والخزائن لم تُنهب، وكاميرات المراقبة لم تُعطل. كان الأمر كما لو أنهم تلاشوا في الهواء الرقيق. الافتراضات كانت كثيرة ولكن لا شيء يقف على أرض صلبة.

المدينة استيقظت على الخبر، وبدأت الشائعات تتدفق كالماء في شوارعها. كان هناك من يهمس بأنهم رأوا السيارات الفخمة تغادر في وقت متأخر من الليل، وآخرون يتحدثون عن مكالمات هاتفية غاضبة سُمعت من خلال الجدران الرقيقة. لكن لم يكن هناك دليل ملموس، فقط أجواء من الشك والريبة.

إيميلي، التي كانت تراقب كل هذا من بُعد، كانت تعلم أنها السبب وراء انهيار الشركة، لكنها لم تكن تعلم شيئاً عن اختفاء هؤلاء الأشخاص. كانت تشعر بأن هناك قوة أكبر تلعب لعبتها الخاصة، قوة تعمل في الظلام وتحرك القطع على الرقعة بطريقة لا يمكن التنبؤ بها.

تحت غطاء الليل الذي بدأ يتراجع ببطء أمام النداء الأول للفجر، وصلت إلى الحديقة القديمة، حيث كانت الأشجار العتيقة تقف كحراس صامتين للذكريات التي دُفنت بين جذورها. الحديقة كانت مهجورة في هذا الوقت، حيث العالم لا يزال يغط في نوم عميق، والهواء البارد يحمل معه رائحة العشب المبلل والتراب الرطب.

كانت إيميلي هناك، تقف بين الظلال، تحت شجرة كبيرة كانت أغصانها تمتد فوقها كقبة طبيعية. كانت تنظر إلى الأفق الذي بدأ يتلون بلوحة من الأزرق الفاتح والبرتقالي الخافت، علامة على أن الليل سيودعنا قريبًا. وقفت للحظة، أتأملها من بعيد، أشعر بالتوتر يتسلل إلى أعماقي، وأعلم أن هذا اللقاء قد يغير مجرى الأحداث القادمة.

أخذت نفسًا عميقًا وتقدمت نحوها، محاولًا أن أخفي قلقي وراء قناع من الثقة. كانت كل خطوة تقربني منها تزيد من وضوح ملامحها، وتكشف عن الأثر الذي تركته الأيام الطويلة والمحن على وجهها. ومع ذلك، كان هناك نوع من العزم في عينيها، عزم لم يخبو حتى في أحلك الأوقات.

قلت بصوت خفيض، كأنني أخشى أن يقطع صدى كلماتي الصمت الساكن.

_ أعرف أنني متأخر بعض الشيء، لكنني هنا. هنا لأفهم، لأساعد، لأكون بجانبك.

لوهلة، بدا أنها تتردد في الرد، لكن ثمة شيء في نبرة صوتي أو ربما في نظرة عيني أقنعها بأنني صادق في نواياي.

قالت بصوت مرتجف قليلًا:

_ لم أعد أعرف إلى من ألجأ... لقد انهار كل شيء من حولي، وأنا... أنا ضائعة.

_ لا عليك، سينتهي كل هذا الخراب، وتعود الحياة إلى طبيعتها

_ أتمنى ذلك...!

_ إيميلي، هناك شيء آخر يجب أن أسألك عنه.

بدأت بتردد، أراقب تعابير وجهها تتغير مع كل كلمة.

_ في القطار، قبل كل هذا، وجدت رسالة مخبأة في الرف العلوي. كانت موجهة إليّ... هل تعلمين شيئًا عنها؟

ظلت إيميلي صامتة للحظة، وبدا عليها الحيرة.

_ رسالة؟

تكررت الكلمة بنبرة استفهام واضحة.

_ لا، ليس لدي أي فكرة عما تتحدث. لم أترك لك أية رسالة، إلا واحدة فقط تركتها في المقعد الذي كنت اجلس فيه بجانبك.

كان الجو مشحونًا بالغموض حيث وقفنا هناك، وكان الصمت يسود على المكان بينما كنت أحاول استيعاب ما قالته. لم تكن إيميلي تعرف شيئًا عن الرسالة، وهذا يعني أن هناك شخصًا آخر في اللعبة، شخصًا لديه معرفة بالأحداث، وربما كان يحاول مساعدتي، أو ربما كان يقودني نحو شيء ما.

أصررت على النقطة، وأنا أحاول فهم الدوافع وراء ذلك.

_ لكن الرسالة كانت هناك، وكانت موجهة إليّ بوضوح، هل من الممكن أن يكون هناك شخص يحاول التواصل، أو ربما يحاول تحذيري.

سألت بصوت محمل بالقلق:

_ إيميلي نظرت إليّ بعينين ملؤهما القلق. إذا لم أكن أنا، فمن؟ ولماذا؟ هل تعتقد أن هناك شخصًا آخر يعرف ما يجري؟

كان السؤال يتردد بيننا، وكانت الإجابة تبدو بعيدة المنال. ولكن كان هنالك سؤال اخر يراودني، وأشعر بوزنه الثقيل يتردد في ذهني.

أتنفس بعمق لأستجمع شتات أفكاري:

_ إيميلي، أنت لسن وراء الملف الذي وجدته في أرشيف الشركة؟

أرى الحيرة تتلون في عينيها، وتشوبها لحظة من الصدمة أو ربما الإدراك. تتردد للحظة، وكأنها تقيس عواقب كلماتها القادمة. وأخيرًا، تجيب بصوت متزن ولكنه يحمل أثر الثقل الذي تحمله.

_ لم أكن أتوقع أنك ستجده. لكن بما أنك وجدتها، يجب أن تعرف الحقيقة. كنت أنا من دبر الأمور لأكشف الفساد الذي أودى بحياة والدي. الملف كان جزءًا من خطتي للكشف عن الحقيقة، لكن لم يكن من المفترض أن تصل إليك بهذه الطريقة.

أشعر بالصدمة تتسرب إلى أوصالي، وأحاول استيعاب تأكيداتها.

أحاول فهم الدوافع والمشاعر التي دفعتها إلى هذا الفعل الجريء:

_ إذًا، كل ما حدث... كل هذه الأحداث، كانت بتدبيرك؟

إيميلي تومئ برأسها، ويبدو أن الاعتراف قد خفف بعض العبء عن كتفيها.

_ نعم، لقد كان لا بد مني فعل شيء. لم أستطع الجلوس مكتوفة الأيدي بينما الأشخاص الذين دمروا حياة والدي يستمرون في أعمالهم كأن شيئًا لم يكن. لقد كانت الرسالة تحتوي على معلومات ستقود الشخص الصحيح إلى كشف كل شيء.

تنفسنا كان يتصاعد في الهواء البارد، ونحن نقف هناك، نتشارك الصمت الذي أصبح محملاً بالأسرار المكشوفة والخطط التي تم الكشف عنها.

كان عليّ الآن أن أقرر كيف سأستجيب لهذه المعلومات الجديدة، وكيف سنتعامل مع العواقب المحتملة لأفعالنا.

بينما كان الصمت يخيم على الحديقة، مع أشعة الشمس الأولى التي تسللت بين الأغصان، أردت أن أعرف المزيد عن الرسالة التي وجدتها في القطار. كانت هناك تفاصيل كثيرة مفقودة، وكل ما كان لدي هو قطع الألغاز المبعثرة التي لم تكن تتناسب معًا.

_ كيف عرفتي بأمر الملف وكل تلك لحقائق؟

_ من خلال رسالة...!

سألتها، وأنا أحاول ربط الخيوط معًا.

_ أين وجدت الرسالة، إيميلي؟ هل كانت موجهة إليك؟ هل تعرفين من أرسلها؟

إيميلي نظرت إليّ بنظرة عميقة، وكأنها تحاول قراءة النوايا وراء سؤالي.

_ ذات يوم وجدت الرسالة في صندوق البريد أمام منزلي. لم تكن هناك علامات، لا اسم مرسل ولا ختم بريدي. فقط مظروف أبيض والرسالة داخله.

تابعت وأنا أحاول فهم اللغز الذي بدأ يتكشف أمامي.

_ وماذا كان مكتوبًا فيها؟

أجابت، وهي تتنهد بثقل:

_ لم يكن هناك الكثير... كانت تحتوي على تفاصيل معينة عن الشركة، وبعض الأسماء، وتحذيرات عن أحداث قادمة. كانت كلها مكتوبة بطريقة توحي أن الشخص الذي كتبها يعرف الكثير عن الشركة... وعن والدي. أدركت حينها أن الرسالة ربما كانت مفتاحًا حاسمًا في فهم سلسلة الأحداث التي أدت إلى انهيار الشركة والفضائح المرتبطة بها. كان هناك شخص مجهول يحرك الخيوط من الظلال، أشعر بالحيرة وأدرك أن هناك جزءًا من القصة لا يزال مبهمًا.

انظر إلى إيميلي وأقول بنبرة تحمل الكثير من الاستفهام:

كيف تمكنتِ من الوصول إلى أرشيف الشركة والعثور على الملف السري؟ وكيف أدت الرسالة التي وجدتها في صندوق البريد إلى أن أجد أنا أيضًا ذلك الملف؟

إيميلي تأخذ نفسًا عميقًا قبل أن تجيب، وكأنها تستعد للكشف عن جزء حاسم من القصة.

_ بعد أن وجدت الرسالة، أدركت أنها تحمل تلميحات محددة يمكن أن تقودني إلى شيء مهم في أرشيف الشركة. استخدمت معرفة والدي السابقة بالشركة التي دونها قبل وفاته، ثم بعض الاتصالات للوصول إلى المكان بشكل متخفي.

_ وكيف أدى ذلك إلى أن أجد الملف بدوري؟

_ أعتقد أن من أرسل لي الرسالة كان يعلم أنني سأبحث عن الملف وأنك ستكون الشخص الذي يمكنه متابعة القصة إذا ما حدث لي شيء. لذلك، تركت لك إشارات لتتبعها. كنت أعلم أنك ستفهمها وتعرف كيف تستخدم المعلومات بحكمة، لكن لم أتوقع أن تصل إليها في ذلك الوقت بالتحديد.

أشعر الان بأن القطع بدأت تتجمع معًا، وأدرك أن الرسالة والملف السري كانا جزءًا من خطة أكبر، يجب أن تكشف حقيقتها.

أتأمل إيميلي للحظة، أفكر في الصدف التي لا يمكن أن تكون عشوائية:

_ ألا تجدينه غريبًا، إيميلي؟ رسالة في صندوق البريد الخاص بك، وأخرى في الرف العلوي بالقطار، كلاهما يبدو أنهما يحميانك ويحولان دون وقوعك في الخطر. كأن هناك من يراقب ويوجه الأحداث من بعيد.

تحدق إيميلي في الأفق للحظة، ويبدو أنها تفكر في السؤال.

_ نعم، لقد فكرت في ذلك أيضًا. إنها تبدو كما لو أن هناك شخصًا يحاول توفير الحماية في نفس الوقت تنفيذ خططه. لكن من يمكن أن يكون؟ ولماذا يفعل ذلك؟

القلق يتزايد داخلي، لكن في الوقت نفسه، هناك إحساس بأننا لسنا وحدنا في هذا الصراع. أجيبها قائلا:

لا أعرف لكن يبدو أن هناك قوى أخرى تعمل في الظلال. علينا أن نكون حذرين، وفي الوقت نفسه، ربما يمكننا استخدام هذا لصالحنا.

كان شيئًا ما يشد انتباهها، يبدو من الماضي حينما كانت ضائعة في غيمة من الذكريات، بعد لحظة صمت، رفعت نظرها إليّ وفي عينيها بريق الفضول والقلق ثم سألت:

_ هل تذكر ذلك الكتاب الذي عثرنا عليه في الغابة؟ أعلم أنني طلبت منك إخفاءه، لكني... لقد رأيته مرة أخرى مؤخرًا. كيف عاد للظهور بعد كل هذا الوقت؟

أحسست بالدهشة تتسرب إلى وجهي وتشتت في أفكاري. سألتها، وأنا أحاول استيعاب الأمر وأدرك أن وجود الكتاب مرة أخرى قد يعني شيئًا مهمًا.

_ لقد كنت متأكدًا من أنني قد خبأته جيدًا، في مكان لن يجده أحد. هل أنت متأكدة من أنك رأيت نفس الكتاب؟

أومأت برأسها بثقة.

_ نعم، أنا متأكدة. لا يمكنني شرح كيف أو لماذا، لكنه كان هناك، وأشعر أن هناك شيئًا يجب أن نفهمه حول هذا الكتاب.

تنفست بعمق ونظرت إليهان

_ حسنًا، إذا كان الكتاب قد عاد، فعلينا أن نتعامل مع هذا بحذر. هناك شيء غير مفهوم حول ظهوره مجددًا، وعلينا أن نكتشف ما هو.

إيميلي تقطب جبينها، ويبدو أنها تفكر بعمق في الصلة المحتملة بين الأحداث الغامضة التي تتكشف.

_ ماذا لو... (تبدأ بتردد، وهي تجمع أفكارها)

ماذا لو كان الشخص الذي وضع الكتاب في الغابة هو نفسه من أرسل الرسائل؟

أردت عليها بنظرة متأملة، وأنا أحاول موازنة الاحتمالات في ذهني.

_ هذا احتمال... لكن لماذا؟ ما الغرض من وراء كل هذا؟"

تنهدت إيميلي، وهي تنظر إلى الأفق حيث تتلاشى آخر ظلال الليل.

_ لا أعلم، لكن يبدو أن هناك نية ما وراء هذه الأفعال. شخص ما يحاول أن يوصل رسالة، أو يرشدنا إلى شيء ما. ربما يكون الكتاب والرسائل متصلين بطريقة لا نفهمها بعد.

بينما تتسلق الشمس السماء، ندرك أننا على أعتاب رحلة قد تكشف عن أسرار خفية وتجيب على الأسئلة التي حيرتنا لفترة طويلة.

التحقيقات استمرت لأسابيع، لكن دون جدوى. لا أحد يعرف ما حدث لهؤلاء الرجال، ولا أحد يعرف ما إذا كانوا سيظهرون مرة أخرى. كان الانهيار المالي للشركة قد تحول الآن إلى قصة أكبر، قصة عن الاختفاء والأسرار التي لم تُكشف بعد.

(5)

في زمن كان العالم يتنفس فيه بخار الحداثة، والقلوب ترتجف على وقع الآلات الجديدة، وجدت نفسي على متن قطار يتهادى عبر الريف الإنجليزي، متجهًا إلى مدينة لم تكن تحمل اسمًا على خرائط الشهرة.
"غراي فورد"، مدينة متوارية في طيات الضباب الذي يغزو الأرض بكل همسة فجر، تنام على وسادة من الأسرار، وتعيش على وقع الأحداث اليومية البسيطة. كانت تحمل في شوارعها المرصوفة بالحصى ومبانيها المطلية بألوان الزمن، قصصًا تنتظر من يكتشفها.

لماذا اخترت هذه المدينة؟ لم أكن أعلم حينها. ربما كانت الأقدار تسحبني إلى هناك، أو ربما كانت هناك خيوط غير مرئية تربطني بها. كان القطار يدخل المحطة وأصوات العجلات تصدح كأنشودة وداع لهذه الرحلة، وبمجرد وصولي، استقبلتني المدينة بأحضانها الغامضة. الشوارع كانت تتمايل تحت وطأة الضباب، والمصابيح العتيقة ترسل أضواءها الخافتة كنجوم متناثرة. كان هناك شيء في الهواء، نغمة مخفية بين الصمت والهمس، تشير إلى أن هذه المدينة تخفي أكثر مما تظهر.

بدأت أسير في الشوارع، أمتص كل تفصيل، أتأمل الواجهات الخشبية القديمة والأبواب المزخرفة بالنقوش الدقيقة، كانت كل زاوية تبدو كبوابة إلى قصة أخرى، إلى لغز ينتظر الحل.

وفي وسط السوق، حيث يجتمع الباعة والمشترون في رقصة يومية معتادة، شعرت بأن عيونًا تراقبني. لم أتمكن من رؤية صاحبها، لكن الإحساس كان قويًا، وكأن هناك شخصًا يعرف بوصولي قبل أن أخطو أولى خطواتي هنا. كان هذا الشعور يخبرني بأن رحلتي لن تكون عادية، وأن المدينة الصغيرة والغامضة ستكون مسرحًا لأحداث غامضة.

في غراي فورد، حيث الزمن يبدو كأنه يسير بخطى متأنية، قابلت شخصًا يحمل اسم "هارولد بينتلي"، كان هارولد من زبائن شركة "بروكفيلد" القدامى، وقد تعرف عليّ فورًا كأحد موظفيها السابقين، استقبلني بابتسامة دافئة وعيون تلمع بالترحيب، كما لو أنني وجهًا مألوفًا من الماضي يحمل نسمة من الراحة لروحه.

قال ببهجة وبنبرة تحمل السرور:

_ أهلاً وسهلاً بك في غراي فورد! ليس كل يوم نستقبل فيه زائرًا من عالم الأعمال الكبير.

أخذ هارولد على عاتقه مهمة تعريفي بالمدينة، يقودني عبر شوارعها المرصوفة بالحجارة ويشير إلى المباني التي تحكي قصصًا من العصور

القديمة. أظهر لي مقهى صغير يتسم بدفء الألفة، ومكتبة قديمة تعبق بروائح الورق والتاريخ.

توقف هارولد للحظة، مشيرًا إلى مبنى عتيق ذو واجهة من الطوب الأحمر، ثم أطرد قائلا:

_ إذا كنت تبحث عن مكان للإقامة، فأنصحك بهذا المكان يدعى "شقق إيفان"، إنها مريحة وتقع في قلب المدينة، والأجرة مناسبة للغاية.

قبل أن نفترق، وضع يده على كتفي وقال بنبرة واثقة:

_ أيضا، لا تقلق بشأن العمل، يا صاح. غراي فورد قد تكون نائية، لكنها مليئة بالفرص. سأتحدث مع بعض الأصدقاء، وأعدك بأنك ستجد منصب عمل محترم يليق بك.

كانت كلمات هارولد تحمل وعدًا ببداية جديدة في هذه المدينة الهادئة، وعدًا بأن حتى أكثر الأماكن نأيًا يمكن أن تخبئ بين طياتها إمكانيات لم تُكتشف بعد.

تحت سماء غراي فورد الرمادية التي تعانق بلطف قمم الأشجار العالية، وجدت نفسي أمام بوابة ثانوية البلدة، وقد تمددت أمامي كمسرح جديد لمسيرتي المهنية.

هارولد بينتلي، ذلك الرجل الذي يمتلك القلب الكبير والروح المتجذرة في تربة المدينة، كان قد وفى بوعده.

قال هارولد بصوت يحمل نبرات الثقة، وهو يصافحني أمام المدرسة العريقة:

_ أعتقد أنك ستجد نفسك هنا، في ثانوية غراي فورد، أعد بأنك ستجد عقولًا شابة تتوق للمعرفة، عقولًا جاهزة لتتعلم من خبرتك في الرياضيات والهندسة.

كان المبنى يقف شامخًا بجدرانه الحجرية العتيقة ونوافذه العريضة التي تطل على فناء مليء بالحياة. داخل هذه الجدران، سأنقل معرفتي وشغفي بالأرقام والمعادلات، سأشرح نظريات الهندسة وأسرار الجبر لجيل جديد قد يغير وجه المستقبل.

مع كل درس أدرسه، كنت أشعر بأنني أساهم في نسيج هذه المدينة البسيطة والغامضة. كان الطلاب ينظرون إليّ بعيون متعطشة للمعرفة، وكل سؤال يطرحونه كان يزيد من حماسي لهذا الدور الجديد الذي ألقاه القدر في طريقي.

في غراي فورد، حيث الأيام تتسلسل كحبات اللؤلؤ النادر، وجدت معنى جديدًا للحياة. هنا، في صفوف ثانوية البلدة، لم أكن مجرد معلم، بل كنت جزءًا من مجتمع ينبض بالدفء والترابط. وبفضل هارولد، الذي كان

كجسر بيني وبين هذه الفرصة، أصبحت لي بصمة في هذا العالم الصغير الذي يخفي بين طياته عظمة لا متناهية.
مع تقدم الأيام، لم تبهت ذاكرة الهدف الذي دفعني نحو غراي فورد، ذلك الهدف الذي كان يتموج في أعماقي كنهر خفي ينتظر الفيضان. وفي يوم مشمس، حيث كانت السماء تبدو كقبة زرقاء مزينة بلمسات من الأبيض، تسربت إلى مسامعي أخبار عن معرض غير عادي في متحف "ويس برينغ كورنر".

كان "ويس برينغ كورنر" ليس مجرد متحف، بل كان صرحًا يحتضن ألغاز التاريخ ويهمس بقصص الأزمنة الغابرة. هذا المكان الذي يشتهر بعرض مقتنيات تنبض بالغموض والرهبة، قد أعلن عن معرض جديد يضم قطعًا أثرية كانت توحي بأسرار لم تكشف بعد.
بقدمين كانتا تحملانني كأنهما تعرفان الطريق، توجهت إليه، مدفوعًا بنداء الفضول الذي لا يهدأ. وبمجرد دخولي، عانقتني أجواء المتحف العتيقة، وتنفست رائحة العصور الماضية التي كانت تعبق في الهواء. كان العرض ينتظرني، كأنه مفتاح لفك شفرة السر الذي جئت من أجله إلى غراي فورد.
في أروقة "ويس برينغ كورنر"، حيث كل لوحة تسرد حكاية وكل تمثال يحرس ذكرى، تاهت خطواتي بين العروض الفنية والتاريخية. الأصداء

الهامسة للماضي كانت تتردد في الفضاء، وكل زاوية كانت تخفي وشوشة من الأسرار.

في إحدى الزوايا الهادئة، حيث الضوء يتسلل خجولًا من خلال نافذة عالية، وقعت عيني على خريطة عتيقة. كانت تحمل علامة مألوفة، رمزًا غائرًا في الذاكرة، يشبه إلى حد كبير تلك الرموز المحفورة على صفحات الكتاب الملعون الذي كان بداية كل شيء.

كان الرمز يلمع بغموض تحت الزجاج الواقي للخريطة، كأنه ينبض بحياة خفية. وبينما كنت منغمسًا في التأمل، اقترب مني أحد مالكي المتحف، رجل ذو ملامح جادة وعينين تحملان وقار السنين.

قال بصوت يحمل وقع الأسرار:

_ هذه الخريطة، تم تركها هنا لك. جاء بها شخص حثني بعدم ذكر اسمه لدوافع شخصية، ولكنه كان يعلم بأنك ستأتي.

الكلمات تركتني في حالة من الدهشة والتساؤل. من كان هذا الشخص الذي يعرف برحلتي ويترك لي خريطة تحمل رمزًا من الكتاب الملعون؟ وما الرسالة التي يحاول إيصالها؟

كانت الخريطة تفتح بابًا جديدًا من الأسئلة، وفي الوقت نفسه، تمنحني خيطًا رفيعًا قد يقودني إلى إجابات طالما بحثت عنها. وهكذا، بينما كنت أقف في ذلك المتحف العتيق، أدركت أن رحلتي في غراي فورد لم تكن سوى البداية، وأن القصة كانت لا تزال تنسج فصولها حولي.

* * *

في الوقت الذي كانت فيه أسرار "ويس برينغ كورنر" تتكشف أمامي، كانت إيميلي تجد طريقها إلى بلدة "أوكفيلد"، معقل الهدوء الريفي الواقع في أحضان الطبيعة العذراء. تناثرت أكواخ "أوكفيلد" عبر الحقول المترامية الأطراف كقطع الشطرنج على رقعة خضراء، وكانت الأنهار تتلألأ تحت أشعة الشمس كشرايين الحياة التي تغذي الأرض.

إيميلي، التي كانت تحمل داخلها وحشًا يتوق للسكينة، وجدت في "أوكفيلد" ملاذًا وربما أملًا في السلام. كانت تسير على الدروب المتعرجة، تتأمل البيوت الحجرية المغطاة باللبلاب والحدائق المزهرة بألوان الفرح. كل نفس يدخل رئتها يبدو كأنه يجدد الروح ويطهر القلب. في "أوكفيلد"، لم تكن إيميلي مجرد زائرة، بل أصبحت جزءًا من نسيج البلدة. تعرفت على السكان الذين استقبلوها بأذرع مفتوحة، وشاركت في مهرجاناتهم واحتفالاتهم التي تعبر عن عراقة تقاليدهم وبساطة حياتهم. كانت تبحث عن الهدوء الذي قد يروض الوحش داخلها، وربما، في صمت هذه البلدة النابض بالحياة، كانت تجد بعض الإجابات التي طالما سعت إليها.

في أوكفيلد، حيث تتناغم الأرض مع السماء في سيمفونية بديعة، وجدت إيميلي نفسها تقف على عتبة مكتبة قديمة، مكتبة "مايستوود". تقبع في زاوية نائية من البلدة، حيث الظلال تلتف حولها كأسرار ملفوفة بالصمت. المبنى يتمتع بجاذبية غريبة، بجدرانه المتهالكة ونوافذه العالية التي تطل بفضول على من يجرؤ على الاقتراب.

لطالما أحاطت بـهذه المكتبة حكايات وأقاويل، قصص عن أرواح تائهة وكتب تحمل لعنات من العصور الغابرة. كان الجميع يتهرب من العمل هناك، يتجنبون الاقتراب من مكتبة تبدو كأنها تنفث الألغاز من كل شق. لكن إيميلي، التي كانت تحمل في داخلها وحشًا تسعى لفهمه وربما لإيجاد دواء له، شعرت بأن "مايستوود" كانت تناديها. بخطوات واثقة وقلب ينبض بالشجاعة، دخلت إيميلي المكتبة، متقبلة منصبًا كان الآخرون يفرون منه.

بين الرفوف، حيث الكتب تراصت بعناية، بدأت إيميلي عملها. كانت تتنقل بين الأعمال الأدبية والمخطوطات النادرة، تمسح الغبار عن أسرار مطوية بين الصفحات. في الهدوء الذي يخيم على المكان، كانت تشعر بأنها تقترب خطوة فخطوة من فهم الظلام الذي يسكنها.

في المكتبة العتيقة حيث الزمن يبدو أنه توقف عن الجريان، كانت إيميلي تتنقل بين الرفوف الغارقة في الظلال، تستنطق الأرواح الغافية بين

الصفحات. الهواء كان يحمل نفحات من العطور القديمة، والصمت كان يعزف سيمفونية السكون. كانت تمتد يدها برفق لتمسح عن الكتب غبار الأعوام، كأنها توقظها من سباتها الأبدي.

فجأة، في لحظة لم تكن متوقعة، وقع كتاب ثقيل من على الرف العلوي، يسقط بصوت دويّ مخيف، يصدح في الفضاء كأنه ناقوس يعلن عن معركة. قلب إيميلي يخطفه الرعب، والأدرينالين يتدفق في عروقها، فلا يوجد سبب واضح لسقوط الكتاب؛ النوافذ مغلقة، والهواء ساكن.

تحبس أنفاسها وتتجول ببصرها في المكتبة، تبحث عن مصدر الحركة، عن اليد الخفية التي قد تكون دفعت الكتاب. لكن لا يوجد أحد. الرفوف تقف صامتة، الكتب مرتبة بأناة، والظلال تلتصق بالجدران كأسرار ترفض الانكشاف.

تقترب إيميلي من الكتاب الغريب، يدها ترتعش وهي تلتقطه. غلافه الجلدي متآكل، وعلى وجهه تظهر رموز مألوفة، رموز تتداخل مع تلك التي في الكتاب الملعون الذي أحضرها إلى هذا العالم الغامض. تفتح الكتاب بحذر، والصفحات تتقلب كأجنحة فراشة محاولة الطيران.

وهناك، في قلب الكتاب، وجدت ملاحظة مكتوبة بخط يد راقص ومتزن. الكلمات تشير إلى أن هناك من يراقبها، من يعرف برحلتها ويتعقب خطواتها. كانت الرسالة تحمل تحذيرًا وإرشادًا، وتشير إلى أن مسار إيميلي محفوف بالمخاطر ولكنه لا يخلو من الأمل.

وفي هذا الصمت المطبق، بين الرفوف التي تحمل تاريخًا نائمًا، شعرت إيميلي بأنها ليست وحدها. كانت المكتبة بأكملها تتنفس معها، تعيش اللحظة ذاتها، وتحمل في جوفها قصة لم تنتهِ بعد.

بينما كانت إيميلي تحدق في الرسالة المحيرة، لاحظت شيئًا آخر داخل الكتاب، شيء كان يختبئ ككنز بين الصفحات. كانت وثيقة قديمة، مطوية بعناية، تحميها الأوراق العتيقة من تمسكها انامل لا علاقة لها بهذه المسرحية. بيدين ترتجفان من الترقب، فتحت إيميلي الوثيقة لتكشف عن خريطة صغيرة، تحمل تشابهًا لافتًا لتلك التي وجدتها أنا في "ويس برينغ كورنر"

الخريطة، رغم صغر حجمها، كانت تحمل علامات ورموزًا معقدة، تلك الرموز المعتادة التي بدأت تتكرر كأنها موتيف موسيقي في سيمفونية هذه الأحداث الغامضة. كانت تحمل الرموز نفسها التي رأيناها على الكتاب الملعون، والتي بدت الآن كمفاتيح تفتح أبوابًا لأسرار أكبر.

مع الخريطة في يدها، شعرت إيميلي بأنها وجدت القطعة المفقودة في اللغز الذي كانت تحاول حله. كانت هذه الخريطة ترشدها، تشير إلى مسار قد يكون محفوفًا بالخطر، لكنه يحمل أيضًا وعدًا بالاكتشاف والإجابات

من غراي فورد، حيث تتشابك الأقدار كخيوط العنكبوت، استقللت القطار الذي يتخلل الريف الإنجليزي كخيط فضي ينسج طريقه عبر الخضرة والضباب. كانت الخريطة التي وجدتها في "ويس برينغ كورنر" تشير إلى وجهة غير مألوفة، وجهة تنبض بالغموض كقلب مجهول العمق.

كانت الرحلة تنساب بين الساعات، ومع كل محطة تمر، كنت أشعر بأنني أترك ورائي قطعة من العالم الذي أعرفه، لأغوص أكثر في أعماق المجهول. وأخيرًا، وصلت إلى هدفي، شبه جزيرة نائية تنام على حافة العالم، حيث البحر يلامس أطرافها كعاشق يقبل يد محبوبته.

على جانب واحد، كانت هناك هضبة جبلية عظيمة تتحدى السماء، وأمواج البحر تصطدم بقاعدتها في انسجام دائم. وعلى الجانب الآخر، شاطئ صخري يتخلله القواقع والأصداف، والمياه ترقص على الصخور كأنها تعزف المقطوعة الأبدية.

في المنتصف، تمتد غابة كثيفة، أغصانها كأذرع تحتضن الأسرار. وقبل أن تصل إلى هذا العالم، تستقبلك المدينة التي نزلت فيها، مدينة تقف على الحدود بين الحضارة والبرية، كحارس قديم يراقب تقلبات الزمان.

مع تساقط الليل كستارة مخملية على مسرح العالم، أمضيت ليالي عدة في تلك المدينة النائمة على حافة شبه الجزيرة، كل ليلة تحمل نفس السؤال الذي يتردد في صدى الروح: ما الغموض الذي تخفيه هذه الأرض؟

في إحدى الجولات التي كانت تقودني بلا هدى، كأنما خطواتي تحركها يد القدر، وجدت نفسي أمام بقايا كنيسة قديمة، صخورها متحطمة تحكي قصة زمن مضى. كانت الأعمدة المتناثرة كأسنان عملاق سقطت في معركة نسيها التاريخ، والجدران المنهارة كأوراق خريفية تتساقط بعد حياة طويلة.

بينما كنت أتجول بين الأنقاض، تحسست الأحجار الباردة التي كانت شاهدة على صلوات وأسرار وربما لعنات. وهناك، في زاوية مظلمة، تحت قوس نصف مدمر، لمحت ظرفًا يتوارى خلف الظلال ككنز مدفون ينتظر الاكتشاف.

الظرف كان غريب الطابع، مغلف بورق بني متين، ومختوم بشمع أحمر كان يتوهج كعين غامضة. بين أصابعي، شعرت بثقل الظرف وبأهميته التي تفوق مجرد كونه رسالة. كان يحمل داخله رسالة وخريطة، وكل منهما ينبض بالأسرار التي لطالما جذبتني نحو هذه الرحلة. وفي ظلال الكنيسة القديمة، فتحت الظرف. كانت مطوية بداخله خريطة أخرى، كانت عملاً فنيًا بحد ذاتها، مرسومة بخطوط دقيقة وألوان باهتة تشي

بعراقتها. تضاريس شبه الجزيرة كانت محفورة عليها بعناية فائقة، وكل تل وكل شجرة بدت كأنها تحمل سرًا خفيًا.

أما الرسالة، فكانت مكتوبة بخط يد متأنٍ ومحكم، يحمل الأناقة والغموض في آن واحد. الكلمات كانت تتدفق كنهر من الحبر، تروي قصة الرحلة التي لم تكن إلا مقدمة للغز أكبر.

كانت تقول الرسالة:

"الرحلة قد اكتملت، والخطوة الأخيرة هي فهم المكان الذي تشير إليه الخريطة".

وفي تلك الرسالة، وجدت لغزًا محيرًا، كان عبارة عن سلسلة من الرموز والإشارات التي تتطلب تفسيرًا.

"في قلب المدينة حيث الأحجار تروي قصصًا، هناك بنية خُلدت في الذاكرة، معمارها يحاكي السماء. أربع جدران، لكل واحدة قصة، تلتقي عند نقطة لا تُرى بالعين. تبحث عن مفتاح السر في الظلال، حيث يلتقي الضوء بالعتمة، وتتفتح أبواب الأسرار. اتبع النجم الذي لا يغيب، والمسار الذي يشقه الظل في أطول أيام السنة."

أمضيت وقتا أتأمل فيه الخريطة وأتدبر الرسالة، حتى أدركت أن اللغز يشير إلى ساعة شمسية قديمة، موجودة في قلب المدينة، يتوجه ظلها إلى نقطة محددة في الغابة عند الظهيرة في يوم الانقلاب الصيفي. وهذه النقطة، حيث يبلغ الظل أقصى طول له، تشير إلى مكان "مخبأ السر"، وهو منتصف الغابة، حيث يتكشف الغموض وينجلي اللثام عن الحقيقة.
بدأت رحلتي عبر الغابة، حيث كانت الأشجار تقف شامخة كحراس الأزمان الغابرة، وأوراقها تهمس بأسرار لم يعرفها إلا القليل. كانت الأشعة الأولى للشمس تتخلل الفروع، ترسم خرائط من الضوء والظل على الأرض الرطبة.

تابعت الدرب الذي رسمته الطبيعة، حتى وجدت نفسي تحت ظلال الغابة العتيقة، حيث تتشابك الأغصان فوق رأسي كأنها تصلي صلاة الفجر، توقفت لألتقط أنفاسي وأتأمل الدروب المتشابكة التي تمتد أمامي. كانت الغابة تتنفس بعمق، تزفر الأسرار القديمة وتستنشق الحاضر المتردد. كل شجرة كانت كصفحة من كتاب الطبيعة، كل ورقة كانت تحمل همسة من الأزمان المنسية. وفي تلك النقطة، حيث يبدو أن كل شيء يتوقف للحظة ليستمع لهمس الطبيعة، وجدت علامة على جذع شجرة قديمة، علامة لا تراها إلا عندما يتلاقى النور مع الظل بالزاوية الصحيحة.

***

بينما كانت الأقدار تقودني في رحلة عبر الغابة الكثيفة، كانت إيميلي تتبع خيوط مصيرها الخاصة، تلك التي رسمتها الخريطة القديمة التي عثرت عليها في المكتبة المنسية. مع كل خطوة تقترب فيها من حافة شبه الجزيرة، كانت تشعر بأن الأمواج تدق كطبول تحتضن الأسرار العميقة. تسللت إيميلي بين الأزقة الضيقة للمدينة الصغيرة التي تقع على مشارف شبه الجزيرة، وتوجهت نحو الجهة التي تعانق فيها الأرض البحر بقوة وعنف. هناك، حيث الشاطئ الصخري يمتد كسجادة من الحجارة العتيقة، وجدت منارة قديمة تقف شامخة كحارس أبدي لأسرار البحر.

كانت المنارة قديمة ومهيبة، جدرانها المتآكلة من الزمن تحكي عن عواصف وأمواج عاتية قاومتها عبر العصور. الطحالب والمحار تتدلى من جوانبها كزينة طبيعية، ونوافذها الدائرية تطل على الأفق كعيون ترقب الأفق البعيد.

بينما كانت تقترب منها، شعرت إيميلي بقشعريرة تسري في جسدها. كان هناك شيء في الهواء، نداء خفي لا يمكن تجاهله. كانت الرياح تحمل صدى قصص البحارة القدماء والأرواح التي تركت بصماتها على هذه الأرض.

داخل المنارة، حيث السلالم الحلزونية تصعد نحو السماء، وجدت إيميلي زاوية مظلمة تحتضن صندوقًا خشبيًا قديمًا. كان الصندوق مغلقًا بقفل صدئ، يبدو كأنه لم يُفتح منذ عقود. بيدين ترتجفان من الحماس والترقب، وجدت إيميلي طريقة لفتح القفل ورفع الغطاء.

بداخل الصندوق، كانت هناك وثائق مصفرة وأدوات ملاحة قديمة، ورسالة أخرى تحمل نفس الرموز التي بدأت تظهر كرموز دليلة في هذه الرحلة. كانت تعلم أن كل قطعة تجدها تقربها خطوة إلى الحقيقة، إلى فهم الوحش الذي يسكن داخلها، وإلى فك شفرة القصة التي كانت تتكشف أمامها ببطء.

وجدت إيميلي نفسها تحدق في خريطة متقنة الرسم ورسالة مطوية بعناية فائقة. الرسالة، مكتوبة بخط رفيع وثابت، تحملت ضمن طياتها كلمات تبدو كأنها مفتاح لأحجية عتيقة:

"أينما تتقاطع الأصوات وتتداخل الحروف، هناك يكمن السر، حيث أن الكلمات لا تنطق كما تُكتب. تسع حروف تختبئ في الصمت، تتراصف في انتظام وتختفي بين الألسن. إذا ما جُمعت، تُنطق بلغة الأشجار، وتُسمع في همس الأوراق. ابحث عن الكلمة التي تقال دون أن تتكلم، وتُسمع دون أن تُنطق، وهي مفتاحك للغز العميق."

مع اللغز في يدها، والخريطة تحت ذراعها، شعرت إيميلي بأنها أمام تحدي يناسب عالمها الخاص، عالم اللغات والرموز. اللغز لم يكن يتطلب معرفة لغة بعينها، بل فهمًا لكيفية تواصل اللغات مع بعضها، وكيف يمكن للطبيعة أن تكون جزءًا من هذه المعادلة.

بعد تأمل عميق، أدركت إيميلي أن اللغز يشير إلى كلمتين هما "صمت الغابة"، وهما من تسعة حروف ترتبط باللغة بطريقة عميقة. ففي اللغة، الصمت يحمل معاني لا تقال، وفي الغابة، الصمت يكون ملموسًا بين الأشجار والأوراق. ومن خلال مفتاح الأحجية كان المكان الصحيح هو

"منتصف الغابة" ومركزها، حيث الهدوء يكون أعمق والأسرار تكون مخبأة وهناك يمكن للصمت أن يُسمع.
بتحديد هذا الموقع الدقيق، توجهت إيميلي إلى قلب الغابة، حيث كانت الأحجار تقف متحدية الزمن، مشكلة دائرة مقدسة.

***

في أعماق الغابة الساحرة، حيث تتنفس الأرض قصائد الأزمان المنسية، وقفت أنا في انتظار الإشارة التالية، الدليل الذي سيقودني خلال هذا اللغز المتشابك. الأشجار العتيقة كانت تعانق السماء، والضوء يتسلل بين أوراقها كأنه يرسم خرائط سرية لعيني فقط.
فجأة، اخترق الهدوء صوت حركات مخيفة، كأقدام تسير بثقل على الأوراق المتساقطة، تسارعت نبضات قلبي، والأدرينالين اندفع في عروقي كنهر جارف، كنت متأهبًا للمجهول، مستعدًا لمواجهة أي خطر قد يكمن في الظلال.
ومع اقتراب الحركة، انقشع الغموض ليكشف عن مفاجأة غير متوقعة؛ لم يكن الصوت إلا صوت حركات إيميلي، التي كانت تتنقل بين الأشجار

بخفة ورشاقة. كانت عيناها تعكسان الإصرار والفضول، ويدها تمسك بالخريطة والرسالة التي قادتها إلى هنا.

لحظة وصولها كانت كالبرق يضيء الظلام، وفجأة تحول الخوف إلى إغاثة، والقلق إلى شراكة. كنا الآن اثنين في هذه الرحلة، متحدين في بحثنا عن السر الذي جمعنا في هذا المكان البعيد عن العالم.

وهكذا، في قلب الغابة التي كانت تحمل في صمتها أصداء أقدام المسافرين القدامى، وقفنا معًا، مستعدين لكشف الألغاز التي تنتظرنا. كانت اللحظة تحمل بين طياتها إحساسًا بالترابط والمصير المشترك، وكأن الغابة نفسها قد اختارتنا لنكون الباحثين عن حقيقتها الغامضة.

وقفت أنا وإيميلي، والأسئلة تتراقص في أعيننا كشرارات الفضول، فسألتها بدهشة:

_ إيميلي، لم أكن لأتخيل أن الخيوط ستقودنا إلى نفس النقطة في هذه الغابة، ما الذي جلبك إلى هذا المكان بالضبط؟

_ لقد كانت الخريطة والرسائل التي وجدتها، كلها تشير إلى هذا المكان. وأنت ما الذي أرشد خطاك إلى هذه النقطة؟

_ نفس الأمر، لغز تلو الآخر، وكل خريطة كانت تحمل في طياتها المزيد من الأسرار. وكأن كل ما مررنا به كان يستعد لهذه اللحظة.

_ هل تعتقد أن ما نبحث عنه موجود هنا؟ أن الأجوبة التي نتطلع إليها مدفونة في هذه الأرض؟

_ نعم، أشعر بذلك. الجدران الأربعة، الساعة القديمة، كل شيء يبدو مترابطًا بطريقة ما. ولكن، ماذا عن الوحش داخلك؟ هل وجدتِ طريقة للتحكم به؟

_ رحلتي لم تكن فقط للبحث عن أجوبة خارجية، بل كانت أيضًا رحلة داخلية. أشعر أن كل خطوة أخطوها تقربني من فهم القوة التي أحملها. وأعتقد أن السر الذي نبحث عنه سيساعدني في ذلك أيضًا.

_ لقد كانت رحلة محفوفة بالمخاطر والاكتشافات إذن، الآن، هنا نحن، على أعتاب ما قد يكون الاكتشاف الأكبر. ماذا تتوقعين أن نجد؟

_ لا أجرؤ على التكهن. لكنني متأكدة من أنه سيغير كل شيء. سيغير نظرتنا للعالم، وربما يغيرنا نحن أيضًا.

_ إذًا، هل نحن مستعدون للخطوة التالية؟

_ نعم، معًا. فمهما كان الشيء الذي تخفيه الأرض، فإننا سنواجه سويًا. نحن شركاء في هذه الرحلة، منذ البداية وحتى النهاية.

في ظلال الغابة الساكنة، حيث كل نسمة تحمل سردًا من العصور الغامضة، كنت أنا وإيميلي، نقف على أرض ملساء، محاطين بالأشجار العالية كأعمدة كاتدرائية طبيعية. بأيدينا الأدوات البسيطة، بدأنا الحفر لإخراج المجهول. قاطعت صمت العمل قائلا:

_ هل تشعرين، إيميلي، بأن كل طبقة من هذه الأرض تحكي جزءًا من قصة مخبأة؟

كأننا نعود بالزمن إلى الوراء مع كل حفرة نحفرها.

_ أشعر بذلك تمامًا. كل حفنة تراب تبدو كصفحة من كتاب قديم نقلبها، ونحن الآن نقترب من الفصل الأخير.

_ ترى، ما الذي ينتظرنا تحت هذه الأرض؟ ما القصة التي سنكتشفها؟

_ لا أدري، لكن أشعر بأنها ستكون قصة لم يسبق لها مثيل، قصة تربط ماضينا بمستقبلنا.

بينما كنا نحفر، ونتبادل الأدوات فيما بيننا وفي تناغم يعكس شراكتنا في هذه الرحلة. كانت الشمس كانت تتسلل بين الأغصان، تراقب تقدمنا، والطيور كانت تغرد بألحان تبدو كأنها تشجعنا على الاستمرار. سألت إيميلي بشوق وفضول للمعرفة:

_ هل تعتقد أن ما نبحث عنه سيكون مجرد كنز مادي؟ أم أنه سيكون شيئًا أعمق، شيئًا يمس الروح؟

_ أعتقد أن الكنز الحقيقي هو الحقيقة نفسها، الإجابات التي نسعى وراءها. ولكن، مهما كان ما نجده اليوم، فإنه سيكون مجرد بداية لفهم أكبر.

وأخيرًا، بعد وقت من الحفر والترقب، شعرت أصابعي بحافة صندوق صلب. نظرت إلى إيميلي ووجدت في عينيها انعكاسًا للمفاجأة والدهشة. ببطء، كشفنا الصندوق عن التراب الذي كان يحميه، وهو لم يكن كأي صندوق رأيناه في رحلتنا.

كان الصندوق مزخرفًا بالنقوش الدقيقة، مرصعًا بالأحجار الكريمة التي تلمع حتى في ضوء الغابة الخافت. كان كل حجر يبدو كأنه يحتفظ بقصة. صندوق يبدو كبوابة لعالم آخر، عالم من الأسرار والعجائب التي لم يعد العقل يجرؤ على تصورها. قاطع صوت إيميلي المتشوق للحقيقة دهشتي قائلة:

_ هذا هو، هذا ما كانت تشير إليه كل الرموز والخرائط. هذا الصندوق يحمل الجواب.

_ نعم، هذا هو مفتاح كل هذا الغموض دعينا نفتحه معًا ونكتشف ما يخفي بداخله.

وبينما كنا نرفع غطاء الصندوق، كان التشوق لكشف غطاء الغموض - الذي بدا وكأنه سيرفع أخيرا – يسري في عروقنا، ونحن نستعد لمواجهة ما كان ينتظرنا بصبر طوال هذه الرحلة الطويلة.

في اللحظة التي رفعنا فيها غطاء الصندوق، كان الزمان متوقفا والمكان يصغي بتمعن. ما وجدناه داخل الصندوق لم يكن كنزًا متوقعًا من ذهب

أو جواهر، بل كانت أشياء تحمل قيمة أعمق بكثير. قطعتان أثريتان من أقفال الأبواب القديمة، الواحدة صغيرة والأخرى كبيرة، كما وجدنا مخطوطات باهتة الحبر تحمل كلمات منسية، خريطة معقدة تشبه شبكة من الألغاز المتشابكة، ورسالة تبدو كأنها تحمل النفس الأخير لسرد قديم.

_ إيميلي، هل ترين هذا؟ هذه الأقفال... كأنها تمثل مفاتيح لأبواب لم نكتشفها بعد.

إيميلي، بنظرة متأملة:

_ نعم، وكأنها دعوة لنكمل رحلة بدأت منذ قرون. وهذه المخطوطات، ربما تحمل أسرارًا لم يتم قراءتها منذ عصور.

بينما كنت أفرد الخريطة المعقدة على الأرض، وجدت إيميلي تقترب لتشاركني النظر في تفاصيلها.

_ هذه الخريطة... إنها ليست مجرد توجيهات جغرافية. كل رمز وكل خط يبدو أنه يشير إلى شيء أكبر، ربما إلى رحلة روحية.

_ والرسالة، هل تلاحظ؟ الكتابة عليها تشبه الكتابات التي رأيناها في الكتاب الملعون. ربما تكون بمثابة مفتاح لفك شفرة الخريطة.

أجبتها وأنا أقلب صفحات المخطوطات:

_ هذه الكلمات، إنها تحكي عن تاريخ مفقود، عن حكمة قديمة لم تعد معروفة. إيميلي، أعتقد أن ما وجدناه يمكن أن يغير فهمنا للتاريخ بأكمله.
أجابت وهي تمسك بالرسالة بين يديها:
_ وأعتقد أن هذه الرحلة لم تكن فقط لكشف الأسرار، بل لتعلمنا شيئًا عن أنفسنا. كل قطعة هنا تحمل جزءًا من اللغز الذي يكمل الآخر. دعنا نقرأ الرسالة ونرى إلى أين ستقودنا الخريطة. ربما نكون نحن القراء الأوائل لهذه الكلمات منذ قرون.
وهكذا، بينما كانت الشمس تغرق أشعتها الأخيرة في خضم الغابة الغامضة، حيث تنسج الظلال ما تبقى من نفسها على أرضية الغابة كلوحة غامضة ومتحركة، بدأنا في ترتيب القطع المكتشفة، رفعت إيميلي الرسالة وبدأت تقرأ بصوت يشق الصمت:

_ "من تلافيف الأزمان المتعبة، ومن أعماق الأرض الساكنة، تنبعث الأسرار كنداءات الرعب، تتمايل كظلال الغموض في ضوء القمر الباهت. طالما القلب يخفق بالخوف والروح تتوق للحقيقة، ستظل الأبواب المخفية تنتظر اليد الجريئة لتفتحها."
وفجأة، قطع صوت آخر الهواء، صوت يأتي من بين الأشجار، يردد خلف إيميلي بتناغم دقيق يكاد يكون موسيقيًا، يتماهى مع صوتها:

_ "في الليل، حيث تتراقص الأرواح الضائعة، وتتهامس الأسرار القديمة، ينتظر العالم الآخر، عالم يختبئ خلف الأقنعة الواهية للواقع."

توقفت إيميلي عن القراءة، متسمرة في مكانها، واستمر الصوت الغريب يكمل الرسالة:

_ "لكن الشجاعة تكمن في مواجهة هذا الخوف، والحكمة في استقبال الغموض بقلب مفتوح. فالذي يجرؤ على النظر في عين الظلام، سيجد أن النور يختبئ في أعمق أعماقه."

ومن بين الأشجار، ظهر رجل عجوز، وجهه محفور بخطوط الزمن وعيناه تلمعان ببريق العرفان. كان يحمل نفس الحكمة والرعب والغموض الذي تحمله الرسالة التي كان يقرأها.

قلت بصوت يعكس رهبتي:

_ من أنت؟ كيف تعرف هذه الكلمات؟

الرجل العجوز، بابتسامة تحمل ألف قصة:

_ أنا مجرد حارس لهذه الأسرار، جزء من الغموض الذي تسعون لفك شفرته.

أتيت لأرى من يمتلك الشجاعة لقراءة هذه الكلمات والسير على درب الاكتشاف.

إيميلي، بصوت متسائل:

_ هل أنت من كتب هذه الرسالة؟ هل أنت الدليل الذي سيقودنا إلى فهم الألغاز التي تحيط بنا؟

الرجل العجوز، بنبرة تنبض بالأسرار: لقد كتبت الكثير، ولكن الحقيقة تكتب نفسها. أنا هنا لأساعدكما على الاستماع لصدى الحكمة الذي يتردد في أنفسكم.

وفي ذلك الغسق الغامض، وقفنا هناك، أنا وإيميلي، محاطين بأنفاس الغابة التي كادت تتوقف بانتظار الإجابات من الرجل العجوز، وقد أصبح محور هذه اللحظة الحاسمة.

قلت بصوت يخفي وراءه ترقبًا عظيمًا:

_ هل كنت أنت من كتب كل تلك الرسائل، من رسالة القطار إلى رسالة الصندوق؟

أجال بصوت يحمل ثقل الحقيقة:

_ نعم، فعلتها. كانت الرسائل دلائل على طريق يجب أن تسلكاه، طريق محفوف بالأسرار والحكمة.

إيميلي، بعيون تبحث عن شيء مألوف في وجهه الغريب:

_ لا زلنا لا نفهم ما تقوله، لماذا نحن؟ ومن أنت؟ وما الذي يربطك بنا من الأساس؟

الرجل العجوز، مبتسمًا بحنان لم يعرفه الزمن:

_ ظننت أن ملامحي ستبقى محفوظة في ذاكرتك، أنا صديق والدك، يا إيميلي.

الرائد "إيدوارد هاملتون" كنت حارسًا لأسراره ورفيقًا في رحلاته.

_ مع ذلك لا يمكنني التعرف عليك، قدم لي ما يثبت ذلك وحينها سأعرف من أنت

_ ذكية كما عهدتك، لدي دلائل تثبت ذلك... هل تريدين تاريخ ميلادك؟ الذي يوافق اليوم الذي تلاقت فيه النجوم بشكل نادر، أو أريك الساعة التي فيها صورة لي مع والدك أيام الحرب؟ أو اذكرك بتلك الدمية الصغيرة التي رشحتها لوالدك حتى اشتراها لك، صدقيني هي كثيرة، أعدك بأنني سأجد وقت لنعيد فيه كل الذكريات الماضية، أما الان فخذي القلادة التي كان يحملها والدك دائمًا، والتي أعطاها لي لأقدمها لك في اخر مهمة له، وها هي الساعة التي اخبرتك عنها.

مع هذه الكلمات، أخرج الرجل العجوز قلادة بسيطة من جيبه وساعة كلاسيكية بهيكل فضي ذات زجاج يعكس بعض الخدوش التي تحكي قصة زمن طويل مر، داخل الغطاء الخلفي المعدني كان يكمن كنز حقيقي،

صورة صغيرة محفوظة بعناية تجمع بين والد إيميلي والرجل العجوز، أما القلادة فكانت ذات حجر أزرق يتلألأ كنجمة في ليلة مظلمة. إيميلي، التي كانت الذكريات تتدفق في عينيها كشلالات الحنين، لم تستطع كبح دموعها، رأت في القلادة جزءًا من ماضيها، جزءًا من قلب والدها الذي ظل معها طوال الوقت.

بخطوات مترددة في البداية، ثم بثقة وإيمان، اقتربت إيميلي من الرجل العجوز واحتضنته بكل ما تحمله من مشاعر متضاربة، كانت الدموع تنهمر على وجنتيها، لكن في قلبها شعرت بالأمان، بالحب، وبالراحة التي طالما افتقدتها.

الرجل العجوز، وهو يعانق إيميلي:

_ أنا هنا لأحميك، ولأحمي صديقي هنا أيضًا. الطريق الذي سلكتموه كان محفوفًا بالخطر، لكنكما أظهرتما شجاعة وقوة لا مثيل لها.

أنا، متأثرًا بالمشهد وبالحكمة التي تنبعث من هذا الرجل:

_ شكرًا لك، فلولاك لما استطعنا الوصول إلى هنا. والآن، ما الذي ينتظرنا؟

الرجل العجوز، وهو ينظر إلى الأفق حيث تتلاشى آخر أشعة الشمس:

_ الرحلة مستمرة، والأسرار لا تنتهي. ولكن الآن، معًا، أنتما أقوى. والقصة التي سترويانها ستكون مصدر إلهام للأجيال القادمة.

وهكذا، مع غروب الشمس وبزوغ نجوم الليل، وقفنا هناك، متحدين، مستعدين لمواصلة مسيرتنا في عالم مليء بالأسرار والمغامرات، مع حارس الأسرار الذي أصبح جزءًا من قصتنا.

في تلك اللحظة المعلقة بين النهار والليل، حيث كان السكون يعانق الغابة بحنان، انقطعت الأنفاس فجأة بصوت اخترق الهدوء كضربة قدر مفاجئة. صوت طلق سهم يشق أوراق الأشجار بسرعة البرق، ينطلق بدقة قاتلة ليصطدم بجسد العجوز المسكين الذي كان للتو ينثر حكمته كبذور أمل.

السهم، كأنياب الخيانة، يغرس نفسه في جسد الحارس الأمين، وكأنما يريد أن يسرق الحكمة التي لطالما حملها. العجوز، بقوة غير متوقعة، نظر إلى إيميلي وإليّ بعينين تحملان الأسى ولكن أيضًا الرضا.

إيميلي، بصرخة مليئة بالرعب والألم:

_ لا! لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا!

_ أنا، مع غريزة الحماية تجتاحني، سرت نحو العجوز محاولًا إيقاف نزيف الجرح الغادر، ولكن السهم كان قد أدى مهمته بفعالية مرعبة.

العجوز، بصوت يتسرب منه الحياة ولكن لا يخلو من العزم:

_ لا تحزني، إيميلي... الحقيقة... لا زالت هناك... وأنتما... يجب أن تجداها...

إيميلي، بينما الدموع تتساقط كأمطار الخريف:

_ لكنك... كيف؟ لماذا؟

العجوز، بنظرة أخيرة تحمل كل الحب والتضحية:

_ المعرفة... أحيانًا تأتي بثمن... وأنا... سعيد... أنني دفعته... من أجلكما...!

(6)

بتلك الكلمات، أغلق العجوز عينيه ببطء، تاركًا وراءه الصمت الذي كان يحمل صدى حكمته. بينما إيميلي كانت محتضنة الرجل الذي كان بمثابة جسر بينها وبين ماضيها، شعرت بالوحدة والخوف يعتصران قلبها. وأنا واقف هناك، مدركًا أن الرحلة لم تعد مجرد بحث عن أسرار، بل أصبحت مهمة لتحقيق العدالة وكشف الظلم الذي أودى بحياة الحكيم. وفي ذلك المساء، حيث كانت الغابة ترتدي حلة الحداد، والنجوم تبدو كأنها تبكي الفقد، أدركت أنا وإيميلي أن الرحلة لم تنته بعد، وأن القصة كانت لا تزال تنتظر الفصل الأخير لتكتمل.

في تلك اللحظة الملتهبة بالخوف والغموض، حيث الغابة تحولت إلى مسرح للمطاردة القاتلة، تملكني الهلع والعزم على النجاة. مع قلب يخفق كطبول الحرب، وأنفاس تتسابق مع ريح الليل، هرعت إلى الصندوق لأنتشل منه الأشياء التي أستطيع حملها قبل أن يخترق السهم جمجمتي، أخذت القفل الصغير والمخطوطات المقدسة والخريطة التي رسمت طريق الألغاز.

إيميلي، التي كانت تقف متجمدة بالصدمة، تحولت بلمسة يدي إلى كائن يتأرجح على حافة التحول. عيناها، التي كانتا تحملان بريق الإنسانية، بدأتا تشتعلان بنار الشيطان الذي يكمن في أعماقها. لكن اللمسة التي كانت لتوقظ الوحش، أيقظت بدلاً من ذلك رابطًا أعمق بيننا، رابط الثقة والحاجة المشتركة للنجاة.

أمسكت بيد إيميلي بقوة، وانطلقت بنا الأقدام في سباق مع الموت، ونحن نتخلل الأشجار والعراقيل. ومن خلفنا، كانت السهام تطير كحشرات مفترسة، تبحث عن فريستها في الظلام. كل سهم يخترق الهواء كان يحمل معه دويًا ينذر بالخطر، وكل واحد يصطدم بالأشجار كان يذكرنا بمدى قرب الموت.

إيميلي، وقد استعادت كامل قوتها وإرادتها:

_ لا يمكننا الاستسلام، علينا أن نواصل الركض!

أنا، مع كل جزء مني يصرخ بالتعب ولكن أيضًا بالإصرار:

_ أعرف، ولن نتوقف! الغابة تحمينا، والظلام حليفنا!

وهكذا، بينما كانت الغابة تلفنا بستارها الداكن، والسهام تتبعنا كظلالنا الخاصة، واصلنا الهروب، متشبثين بالأمل في النجاة والعزم على كشف الحقيقة، مهما كان الثمن.

في ذلك الانقسام المفاجئ لمسارات القدر، حيث الغابة ابتلعت خطواتنا المتسارعة، وجدت نفسي وحيدًا، قلبي ينبض بالقلق على إيميلي وبالخوف من الظلام الذي بدأ يكثف حولي. أصوات المطاردة التي كانت تلاحقنا بلا هوادة بدأت تهدأ، وكأن الصياد قد اختار فريسته، وكانت إيميلي.

وحيدًا في الغابة، مع الليل الذي كان يزحف كوحش جائع، بدأت أسير بحذر، أحاول العثور على مخبأ أو ملجأ. ولكن بدلاً من الأمان، وجدت نفسي أتعثر على حقيقة أكثر رعبًا. في ضوء القمر الباهت، وجدت جثثًا

متناثرة بين الأشجار، جثث لأشخاص كانوا يومًا جزءًا من حياتي، جثث القادة المختفين من شركة بروكفيلد.
اختلطت مشاعر الصدمة والحزن والغضب، ما هذا؟ كيف حدث؟
القمر كان شاهدًا صامتًا على المشهد المروع، والغابة كانت تحتضن أسرارًا أظلم من الليل نفسه. كانت الجثث تحمل علامات العنف، وكأنها تروي قصة صراع مرير ومحاولة يائسة للنجاة.

وقفت هناك، محاطًا بأشباح الماضي، وأدركت أن اللعبة كانت أكبر بكثير مما تخيلت. كان الخطر الذي يحدق بنا لا يتعلق فقط بأسرار الغابة والرحلة التي بدأناها، بل بشبكة من المؤامرات والخيانات التي تمتد جذورها عميقًا في أروقة السلطة والنفوذ.
بجانب جسد القائد الأكبر لشركة بروكفيلد، الذي كان يرقد بين أوراق الغابة كأنه نسيج منسوج من الظلام نفسه، وجدت رسالة. كانت مطوية بعناية، وبدا أن الزمن قد ترك عليها بصماته. بيدي المرتعشة، فتحت الرسالة لأقرأ محتواها الغامض والمرعب:

"في غمرة الظلام، حيث يختبئ الرعب وراء كل شجرة، وتتسلل الأسرار كالأفاعي بين الأعشاب، يجب أن يتم الاختيار. العدالة أحيانًا تتطلب تضحيات جسام، والنور يأتي فقط بعد أن تُطهر الأرض من

الفساد الذي يعشش فيها. كل شيء يتحرك وفقًا لميزان الكون، وأحيانًا، يجب أن تُسلم الروح للسماء كي تستعيد الأرض توازنها. لا تحزنوا على من ذهبوا، فالحياة والموت ليست إلا دورة واحدة، والحكمة تكمن في فهم هذه الدورة والسير معها، لا ضدها. وأحيانا يمكن أن نطرد الظلام بالظلام نفسه؛ في الوقت الذي لا يمكن للضوء فيه ان يملك القوة ليكشف ما يختبئ في العمق."

بعد قراءة الرسالة، شعرت بثقل يستقر في صدري. الحكيم، الذي كان يبدو كمصدر للحكمة والحماية، بدا الآن كشخصية أكثر تعقيدًا وغموضًا. هل كانت هذه التصفيات جزءًا من خطة أكبر؟ هل كانت الأرواح التي زُهقت ضرورية للحفاظ على توازن أعظم؟

وقفت هناك، في الغابة التي كانت تحتضن الآن أرواح الراحلين، وشعرت بالعبء الثقيل الملقى على عاتقي. كان عليّ أن أجد إيميلي وأن أكمل هذه الرحلة، ومع كل خطوة أخطوها، كنت أعلم أن الطريق لن يكون سهلاً، ولكن الضوء الذي نبحث عنه يستحق كل خطوة نأخذها نحوه.

تحت عباءة الليل الكثيف، حيث النجوم تتلألأ كأعين مترقبة من عليائها، والقمر ينشر ضوءه الباهت كمنارة خافتة في الظلام، سرت وحيدًا، متخطيًا حدود الغابة التي كانت تحتضن أسرارًا وأرواحًا على حد سواء.

الأشجار كانت تتمايل ببطء، كأنها تودعني في صمت، وأنا أترك خلفي مسرح الحقائق المكشوفة والألغاز المتبقية.

بعد رحلة طويلة عبر الظلال المتشابكة، وصلت إلى سفح الهضبة الجبلية، حيث الأرض ترتفع لتقبل السماء. وهناك، في مواجهة البحر العظيم، وقفت متأملاً، حزينًا وحائرًا فيما ينبغي فعله. الأمواج كانت تتكسر على الشاطئ بنغمة حزينة، تترجم أفكاري ومشاعري إلى لغة الطبيعة.

بصوت يحمل وقع الوحدة:

_ ما الذي أتى بي إلى هنا؟ وكيف يمكنني مواصلة هذه الرحلة وحدي؟

البحر، بصوت أمواجه الهادئة والمتلاطمة، بدا وكأنه يجيبني بكلمات لا يمكن سماعها ولكن يمكن الشعور بها. كانت الريح تحمل نفحات مالحة، تختلط بدموع الفقد والألم التي لم تجد طريقها إلى الخارج بعد.

أتطلع إلى الأفق اللامتناهي:

_ إيميلي، أين أنتِ الآن؟ وهل ما زال هناك أمل لنا؟

في تلك اللحظة، حيث كان البحر يلامس قلبي، شعرت بقوة أكبر مني تدفعني للمضي قدمًا. كانت الهضبة تقف خلفي كحارس صامت، والبحر أمامي كمرآة للأبدية.

وفي هذا الاتساع اللامحدود، بدأت أدرك أن الرحلة لم تكن مجرد بحث عن كنوز وأسرار، بل كانت رحلة لاكتشاف الذات ومواجهة الحياة بكل تقلباتها.

وهكذا، مع خطوات متثاقلة ولكن مصممة، قررت أن أواصل السير على سفح الهضبة الجبلية، حيث الصخور تنام تحت أقدامي كعظام الأرض القديمة. كان الصعود شاقًا، ولكن كل خطوة كانت تبعدني عن البحر الذي حمل صدى أسئلتي وأحزاني.

وبينما كنت أتقدم، ظهرت أمامي مفاجأة غير متوقعة: كوخ صغير يستلقي بين الأشجار العالية، وقد اكتسى بلون الطبيعة الساكنة. الكوخ، بنوافذه المغبرة وجدرانه المتآكلة، كان يبدو كأنه مهجور منذ عصور، كصفحة من كتاب الزمان المنسي.

قلت في نفسي وأنا أقترب من الكوخ بخطى حذرة:

_ ما هذا المكان؟ كوخ...! أتمنى أن تكون موطن امنا للصراع الذي يسكن زوايا تفكيري.

الكوخ بدا وكأنه يحتضن ألغازًا خاصة به، أبوابه المصنوعة من الخشب القديم تئن تحت وطأة الريح، والسقف المغطى بالطحالب يروي قصصًا عن العزلة والنسيان. ومع ذلك، كان هناك شعور غامض ينبعث منه، كأنه يدعوني لاستكشافه.

بتردد، دفعت الباب المتصدع لأكتشف ما وراءه. من الداخل كان مظلمًا ومليئًا بالغبار، والهواء الراكد كان يحمل معه رائحة الخشب العتيق والتراب. ومع ذلك، كان هناك شعور بأن الكوخ لم يكن خاليًا تمامًا من الحياة؛ كأن هنالك ذكريات ما زالت تعيش بين جدرانه.

وفي ذلك الصمت المطبق، حيث كان الزمن يبدو وكأنه توقف عن الجريان، شعرت أن الكوخ قد يكون مفتاحًا لفك شفرة جديدة في رحلتي. وهنا، في هذا الانعزال عن العالم، كنت أستعد لاستكشاف كل زاوية وشق، بحثًا عن أي دليل قد يقودني إلى إيميلي، وإلى الحقيقة التي كانت تنتظرني في هذه الرحلة العميقة والمعقدة. وفي زاوية معتمة من الكوخ القديم، حيث الجدران تحتضن قصصًا من زمن غابر والصمت يسود كأنه ملك هذه الأرجاء، وجدت نفسي غارقًا في الإعياء. البحث عن أدلة أو إشارات في هذا المأوى الغامض كان يتطلب طاقة لم تعد تسكن أوصالي.

الأرضية الخشبية الباردة، التي كانت تحكي عن عقود من النسيان، استقبلتني كفراش متواضع. تمددت عليها، وأنا أشعر بكل عضلة في جسدي تسترخي تحت ثقل اليوم. النافذة المغبرة كانت تسمح لضوء القمر بالتسلل إلى داخل الكوخ، راسمًا أشكالًا شبحية على الجدران.

أغمضت عيني، وتركت نفسي للسكون الذي يحيط بي. كانت أصوات الليل، النسيم الهادئ، وهمس الأشجار، تتحول إلى لحن منوم يداعب حواسي. وفي اللحظة التي استسلمت فيها لنوم، كانت الأحلام بانتظاري، أحلام مليئة بالرموز والإشارات، بإيميلي والحكيم، وبالأسرار التي كنت أسعى لكشفها.

* * *

في الصباح الباكر، حيث الضوء الأول يتسرب عبر النافذة المغبرة ليعلن عن بداية يوم جديد، استيقظت على واقع لم أكن أتوقعه. أمامي وقف شخص ملثم، وكانت هيئته تبعث في النفس الرهبة، وصوته، الذي كان يحمل نبرة مألوفة، يصدح في الكوخ الصغير بضحكة هستيرية تكسر هدوء الفجر.

_ لا يمكن أن تتصور كيف سيكون موتك ممتعًا.

كلماته كانت كسهام مسمومة تخترق الهواء وتهدد بزرع الخوف في أعماقي.

أحاول استجماع شجاعتي والتماسك أمام هذا التهديد:

_ من أنت؟ وما الذي تريده مني؟

الشخص الملثم، وهو يقترب خطوة نحوي، وضحكته تزداد جنونًا:

_ أوه، ستعرف قريبًا جدًا. لكن لماذا التعجل؟ اللعبة لم تنتهِ بعد.

كان الجو مشحونًا بتوتر يكاد يلمسه الإنسان، وكل زاوية من الكوخ بدت كأنها ترقب بصمت ما سيحدث. وقفت هناك، مدركًا أن الخطر الذي يقف أمامي قد يكون أكبر من أي تحدٍ واجهته من قبل.

بصوت يحمل تحديًا:

_ لن تخيفني بتهديداتك. لقد واجهت أكثر من هذا، بل لن تمنعني من المشي نحو الحقيقة.

الشخص الملثم، وهو يلوح بيده كمن يقود أوركسترا الرعب:

_ الحقيقة؟ الحقيقة هي أنك لن تخرج من هذه الغابة حيًا. وإيميلي... ستكون لي.

تلك الكلمات أشعلت في داخلي نار الغضب والقلق على إيميلي. لم يكن أمامي خيار سوى التصرف، وكل لحظة تمر قد تعني الفارق بين الحياة والموت. بكل ما تبقى لي من قوة وإرادة، كنت مستعدًا للمواجهة، للدفاع

عن نفسي وعن إيميلي، ولكشف هوية الشخص الذي يقف أمامي، والذي بدا وكأنه يحمل مفاتيح جزء مظلم من هذه القصة الغامضة.
بقلب ينبض بالقلق والتوتر، وقفت أراقب الشخص الملثم وهو ينسحب بسرعة، يخترق الغابة كظل يتلاشى مع الأفق. كانت حركاته سريعة ومفاجئة، كأنها تعكس الإلمام بكل شبر في هذا العالم البري.
عندما اختفى من مرمى البصر، تنفست الصعداء، ولكن ليس بالراحة التامة؛ فقد كان الخطر لا يزال يتربص في الظلال. سرعان ما تفقدت الأشياء الثمينة التي استخرجتها من الصندوق، ووجدت القفل الصغير، المخطوطات، والخريطة كما هي، لم يمسها أي ضرر.

بعقل يغلي بالأسئلة والفرضيات، أمسكت بالمخطوطات، آملاً أن أجد فيها ما يمكن أن يساعدني على فهم الوضع الراهن. النصوص القديمة كانت تحمل كلمات متآكلة ورموزًا غامضة، ولكن بين السطور، بدأت ألمح طرف خيط قد يقودني إلى إيميلي وإلى فك لغز الوحش الذي يتربص بها.
وأنا أقرأ بصوت خافت وصلت إلى جملة كانت تبدو بلغة قديمة ومنقرضة إلا أنها تشبه بدرجة كبيرة الحروف الرومانية، وتحتها كانت ترجمة لها بخط يد العجوز.

"Kan yi domanar al bestia, yi domanar al ludum. Potentia venit ex vis, Sed etiam ex scientia..."

"من يتحكم في الوحش، يتحكم في اللعبة. السيطرة تأتي من القوة، ولكن أيضًا من العلم..."
هذه الكلمات جعلتني أدرك أن الشخصية المجهولة التي طاردتنا في الغابة قد تكون تستخدم نوعًا من العلم أو السحر القديم للتحكم في إيميلي وتحويلها إلى الكيان الشيطاني.
كان عليّ إيجاد طريقة لفك هذا السحر، لإعادة إيميلي إلى طبيعتها ولإنقاذها من قبضة هذا العدو المجهول.

وبهذا الإدراك، أعدت المخطوطات إلى حقيبتي ونهضت، مستعدًا لمواصلة الرحلة، كنت أعلم أن الوقت يداهمني، وأن إيميلي تحتاج إلى المساعدة قبل فوات الأوان. ومع تجدد العزم، والرغبة الملحة في العودة إلى أحضان الغابة الغامضة لمواصلة البحث، اتخذت خطواتي طريق العودة. الأشجار العالية كانت تقف كحراس صامتين لأسرار لا تزال تنتظر الكشف، والأرض المبللة كانت تحتفظ بآثار خطوات الماضي.

لكن ما وجدته بين الأغصان لم يكن مجرد دليل أو إشارة، بل كان مشهدًا يفوق كل توقعات الرعب. جثة الرجل الذي كان ضحية في القطار، والذي مر على وفاته شهور عديدة، كانت ملقاة هناك، كأن الزمن توقف عند

لحظة موته. الجثة كانت كما هي، لم تتأثر بمرور الأشهر ولا بقسوة الطبيعة.
أنا، وقد أصابني الهلع والارتباك: "كيف يمكن هذا؟ كيف لجثة أن تظل على حالها بعد كل هذا الوقت؟"

وفي تلك اللحظة، كانت الأفكار تتسابق في ذهني، وكل فكرة كانت أشد جنونًا من سابقتها. لكن الحقيقة كانت تكمن في مكان آخر، في تفسير يكاد يكون بنفس قدر الغرابة. وهو أن الرجل كان في مصلحة حفظ الجثث، حيث لم يكن هناك أحد يعرفه أو يدعي جثته. لكن قبل أيام قليلة فقط، وبطريقة ما، تمت سرقة جثته من المصلحة، ولأسباب مجهولة، أُعيدت إلى هذه الغابة. معه
انه تفسيرا وضعته بكل عقلانية إلا أنني أحاول استيعابه "لماذا؟ ما الغرض من سرقة جثة وإعادتها إلى هنا؟"

كان الصمت يعم المكان، ولم يكن هناك جواب يأتي من الغابة الساكنة. وقفت هناك، مع جثة الرجل، وأدركت أن هذه الحادثة الغريبة قد تكون جزءًا من اللغز الأكبر الذي أحاول حله. كان عليّ أن أجمع الشجاعة وأواصل البحث عن إيميلي وعن الأسرار التي تنتظرني، مهما كانت الأحداث المظلمة التي قد أواجهها.

تحركت من ذلك المكان الغريب، متتبعًا المسار الذي تفرقنا فيه، كل خطوة كانت تعيد إلى ذهني تلك اللحظة التي انشطر فيها مصيرنا. بحثت بين الأشجار والأوراق، أصغي لأدنى همسة قد تدلني على مكانها، لكن كل ما وجدته كان الصمت الذي يغلف الغابة كقناع.

عدت إلى الكوخ، الإرهاق يسحب جسدي إلى الأرض، واليأس يحاول التسلل إلى روحي. جلست هناك، في ذلك المأوى الذي بدا كملجأ من عالم تسوده الفوضى، أحاول استيعاب كل ما حدث. الأفكار كانت تتصارع في رأسي، تبحث عن تفسير، عن خيط دقيق قد يقودني إلى إيميلي. قلبي مثقل بالهموم والأسئلة التي لا أجد لها إجابات. كل ركن في هذا المكان أيضا يبدو كصدى للفراغ والصمت. حتى الجدران كانت تبدو وكأنها ترقبني بنظرات حائرة، تسألني عنها، وعن الرحلة التي لم تكتمل.

أتنهد بعمق:

_ يجب أن يكون هناك شيء فاتني، شيء لم ألاحظه، شيء يمكن أن يرشدني إلى مكانها.

في الكوخ الصامت، حيث كل شيء كان يبدو ثابتًا ومتجمدًا في الزمن، بدأت أستعيد الأحداث منذ البداية، أعيد ترتيب القطع في ذهني، كمن يحل لغزًا معقدًا.

وبينما كانت الشمس تغرب خلف الجبال، والظلال تطول في الكوخ، أدركت أن الإجابات التي أبحث عنها قد لا تكون في الخارج، بل في الرسائل والمخطوطات التي حملتها معي. ربما كانت المفاتيح التي أحتاجها لفتح أبواب الغموض موجودة بين يدي طوال الوقت.
وهكذا، مع حلول الليل، والنار تتراقص في الموقد، قررت أن أعيد قراءة المخطوطات بتمعن أكبر، أفحص كل كلمة وكل رمز، على أمل أن أجد طريقًا يقودني إلى إيميلي.

أغمضت عيني في محاولة لتركيز الأفكار المتشتتة، لكن الهدوء الذي كان يخيم على الكوخ تبعثر فجأة مع صوت غامض يشق صمت الليل. صوت أنثوي خفيف، يحمل معه نغمة مريبة، كأنه ينادي من بعيد، يتسلل عبر جدران الكوخ كنسيم يحمل سرًا. ثم تسللت رائحة أنثوية مألوفة إلى أنفي، رائحة تعودت عليها، رائحة إيميلي. قلبي الذي كان يغفو في اليأس بدأ ينبض بالحياة مجددًا، والأمل الذي كان يتلاشى أعاد تجميع نفسه بسرعة.

بخطوات مترددة، متسارعة النبض، توجهت نحو مصدر الصوت، أتبع الرائحة التي كانت تقودني خارج الكوخ. الليل كان يلف العالم بستاره

الأسود، لكن الصوت والرائحة كانا كالمنارة تقود سفينة تائهة في بحر مظلم.

خرجت إلى الخارج، والقمر كان يعلو في السماء كعين تراقبني. الأشجار كانت تهمس بأسرارها، والأرض كانت تحمل نداء الصوت الأنثوي الذي كان يزداد وضوحًا مع كل خطوة أخطوها.

أنادي بصوت مشحون بالأمل: إيميلي، هل أنتِ هنا؟

لم يكن هناك جواب، فقط الصدى يعود إليّ، والرائحة التي كانت تقودني أعمق وأعمق إلى الغابة. قلبي كان يتقاذف بين الأمل والخوف، بين الرغبة في العثور عليها والتردد مما قد ينتظرني.

وهكذا، بين الظلام والأمل، واصلت السير، مدفوعًا بالحاجة للعثور على إيميلي، للعثور على الحقيقة، ولإنهاء هذه القصة التي بدأت كبحث عن سر وتحولت إلى ملحمة من الشجاعة والإصرار.

الليل كان ينسج حولي شبكته السوداء، والقمر الشاهد الصامت كان يراقب خطواتي المترددة. الرائحة الأنثوية المألوفة كانت تقودني، تسحبني إلى الكوخ من جديد حيث كان الغموض يولد ويموت. كل خطوة كانت تزيد من إحساسي بالخوف الشديد من الموت، وكأن كل ورقة تتساقط كانت تهمس بنبوءة قاتمة.

ومن خلف إحدى الأشجار في الجوار ظهرت إيميلي، لكنها لم تكن إيميلي التي عرفتها. كانت هناك تحولات مروعة تعتري جسدها الهش؛ ملامحها المألوفة تحولت بطريقة تثير الرعب في نفس الناظر.

عروقها برزت كأنها أنهار داكنة تتدفق تحت جلدها الشاحب، تنبض بقوة غير طبيعية. أصابعها امتدت، والأظافر تحولت إلى مخالب حادة، تلمع في الضوء الخافت كأدوات صيد مصقولة للتو. عيناها، التي كانت في السابق مرآة لروحها اللطيفة، أصبحت تتوهج بلون أحمر دموي، تنضح بوهج شيطاني يعكس عمق الظلام الذي استولى على قلبها.

صوتها، الذي كان في السابق موسيقى هادئة، تحول إلى نبرة مرعبة، تتردد بين الأشجار كأنها نداء من عالم آخر، غناء مظلم يحمل في طياته ألحان الخطر والتهديد.

كانت تتحرك بطريقة تحبس الأنفاس، كل حركة منها تنم عن قوة خارقة وسيطرة شيطانية، وكأنها ملكة متوجة في عرش الليل العميق.

وقفت هناك، مشدودا ومتجمدًا من الخوف، أراقب تحول إيميلي إلى هذا الكيان الشيطاني. الغابة حولي كانت تصغي بصمت إلى هذا الكشف الرهيب، وأنا أدرك أنني أواجه ليس فقط معركة من أجل النجاة، بل معركة من أجل روح إيميلي التي كانت تضيع بين أنياب هذا الوحش الذي يحمل ملامحها.

بقلب محطم وروح تناضل ضد اليأس، أخذت خطوة للوراء، أتراجع ببطء نحو الكوخ، الذي كان يمثل الأمان الوحيد في هذا العالم المظلم. ومع كل خطوة أبتعد فيها عن إيميلي، كانت الأسئلة تتزاحم في ذهني: كيف أنقذها؟ وكيف أستعيد إيميلي التي أعرف؟ وهل من سبيل للتغلب على هذا الرعب الذي يهدد بابتلاع كل شيء؟

وفي الكوخ، حيث أغلقت الباب خلفي، جلست أستعيد أنفاسي، أحاول استيعاب الوحشية التي شهدتها، وأبحث في أعماقي عن الشجاعة والحكمة لمواجهة الغموض والرعب الذي أحاط بي.

مع كل خطوة تقودني نحو الكوخ، كان الوجل يتسلل إلى أوصالي، وكأن كل خشبة تحت أقدامي تئن تحت وطأة خوفي. كانت الأبواب الخشبية القديمة تفتح بتردد، كأنها تعلم بما ينتظرني في الداخل. دخلت، وقلبي يعلم أنها، إيميلي بتلك الصورة المروعة، ستتبعني بسهولة، تتسلل خلفي كظلي الخاص.

في الكوخ، حيث كان الهدوء يخيم على المكان، تسارعت دقات قلبي وأنا أفكر في الموت، ذلك السارق الأزلي للحياة. تذكرت تلك الليلة المشؤومة،

حينما كانت إيميلي، تحت سطوة الشيطان الكامن فيها إذ كادت تنهي حياتي.
تذكرت الرسالة الدموية التي خطتها على الحائط، كلمات مكتوبة بلون الحياة التي كانت تنزف منها، رسالة تحمل الرعب الشديد والخوف.
"سأعود وألقنك درسا كآخر شيء تتعلمه ثم تموت. سحقا لك!"

كان التاريخ يعيد نفسه الآن، وأنا وحيد في هذا الكوخ الذي يحتضن روحي المضطربة. الغرفة كانت تغرق في ظلالها، وكل ظل كان يبدو كأنه يخبئ وحشًا يتربص بي. الجدران التي شهدت على لحظات الرعب تلك، كانت الآن تحمل صدى الذكريات، تعيد إلى ذهني صورة إيميلي وهي تتحول أمامي، عروقها تبرز على جلدها كأنها خيوط القدر المظلمة، وعيناها تتوهجان ببريق شيطاني يقطع النفس.

أحسست بالبرد يتسلل إلى عظامي، وكأن كل همسة من الريح كانت تحمل معها نذيرًا بأن النهاية قد تكون وشيكة. جلست على الأرضية الخشبية القاسية، أحاول جمع شتات شجاعتي، لعلي أجد طريقة للنجاة، لعلي أستطيع إعادة إيميلي من هذا الطريق المظلم الذي سلكته. وفي الظلام

الذي يلفني، كان الصمت يصرخ بألف سؤال: كيف أنجو؟ وكيف أنقذها؟ وماذا يخبئ لي القدر في الصفحات القادمة؟

في زوايا الكوخ المظلمة، حيث يمكن للصمت أن يكون أعلى صوت، دوى صدى خطوات خفيفة، تدب فيها الحياة ببطء. ومن بين الظلال، برزت هيئة إيميلي، لكنها لم تكن كما عهدتها. صوتها، الذي كان يومًا ملؤه الدفء والنعومة، تحول الآن إلى همسة مخيفة، تنساب كالسم عبر الهواء. إيميلي بصوت متغير ينز عنفوانًا وتهديدًا:

_ أتعلم، الخوف يمنحني القوة... قوة لا تستطيع تخيلها.

قلت وأنا أحاول أن أبقي صوتي ثابتًا:

_ إيميلي، ماذا حدث لك؟ أين أنتِ؟

إيميلي، وهي تقترب بخطوات موزونة تحمل وقع الموت:

_ إيميلي التي عرفتها غارقة في الظلام، وأنا... أنا شيء آخر الآن. شيء تخشاه في أعماقك.

أشعر ببرودة تسري في دمي:

_ لماذا تفعلين هذا؟

إيميلي، بابتسامة مرسومة على وجهها المتغير:

_ لأن الصيد يسري في دمي، وأنت... أنت الفريسة الأمثل. تلك الرعشة في صوتك، تلك الرهبة في عينيك... تغديني.

أحاول جاهدًا البحث عن مخرج:

_ ماذا تريدين مني؟

إيميلي، وهي تضحك بصوت يشبه صرير الأبواب المتهالكة:

_ أريد أن أراك ترتعش، أريد أن أسمع صرخاتك. أريد أن أشعر بنبض قلبك يتباطأ... حتى يتوقف.

تلك الكلمات، المملوءة بالوعيد والظلمة، أحاطت بي كالسلاسل الباردة. وفي الكوخ الذي كان يومًا ملجأ، أصبحت الآن محاصرًا مع وحش يحمل ملامح إيميلي، وحش يتنفس الرعب ويزرع اليأس في كل ركن من أركان روحي.

الظلام يحتضن الكوخ من كل جانب، والصمت المعتاد أزيح جانباً ليحل محله هسيس شيء ما يقترب، هسيس يُحس بالعظام قبل الآذان. وفي لمحة بصر، اندفعت إيميلي من العتمة، ولكن ليست كما عهدتها. كانت تتحرك برشاقة مفترس، وعيناها اللتان كانتا تتوهجان بنور أحمر كالجمر، تنذران بالخطر الداهم.

اقتربت بخطى ثابتة، كل خطوة تعلن عن نهاية قريبة. ومع اقترابها، ارتفعت حدة الهواء الذي يحمل نفسها الثقيل. صوتها، الذي تحول إلى همسة مرعبة، كان يصدح في الكوخ بكلمات تهديدية، تتردد صداها في أرجاء المكان.

إيميلي بصوت مخيف:

_ تعلم... لم يعد بإمكانك الهروب. الليلة، ستشهد نهايتك.

أحاول البحث عن شيء، أي شيء، للدفاع عن نفسي:
_ إيميلي، أرجوكِ، قاومي ما بداخلك!
لكن صوتي غرق في بحر من الضحكات الشريرة التي انبعثت منها. وبحركة مفاجئة، انقضت عليّ، مخالبها الحادة كالسكاكين تمزق الهواء. وفي لحظة مروعة، شعرت بأنيابها تغرس في لحمي، تنقل الألم والرعب إلى كل خلية في جسدي. الألم كان شديداً، يتجاوز الجسد ليصل إلى الروح.

صرخت، صرخة مليئة بالفزع، والدماء بدأت تسيل، تشهد على الهجوم الشرس. الكوخ الصغير، الذي طالما كان ملاذي، تحول الآن إلى ساحة لمعركة من أجل البقاء. وإيميلي، التي كانت يوماً مصدراً للحب والأمان، أصبحت الآن تجسيداً لأعمق مخاوفي، وحشاً يحمل وجه ملاك.
في لحظة يأس محض، حيث كانت أنياب الوحش تغرس في جسدي، وجدت قوة لم أعلم بوجودها في داخلي. القفل الصغير، الذي كان يحمل رموزاً قديمة وأسراراً غامضة، كان بين يدي. بدافع الغريزة والرغبة في النجاة، استخدمته لإبعادها عني، دافعًا إياها بكل ما تبقى لي من قوة.
إيميلي، التي تجسدت فيها قوى لا تفسير لها، تراجعت للحظة تحت تأثير القفل. كانت تصرخ بصوت ممزوج بالغضب والألم، صرخة تجمد الدم في العروق. استغللت تلك اللحظة المؤقتة من الضعف، وهرولت مسرعًا

نحو الخارج، وفي غمرة الفزع والدماء التي كانت تتسرب من جرحي، انطلقت بعيدًا عن الكوخ، لكن الظلام الحالك أضلّ سبيلي.

بدلاً من أن تأخذني قدماي نحو الغابة، أوجدت نفسي أهرول باتجاه سفح الهضبة الجبلية. الأرض كانت تصعد تحتي، وأنا أسرع مهرولا بلا وعي، أهرب من كابوس يتجسد في الواقع.

كل شهيق كان محفوفًا بالألم، وكل زفير كان يحمل معه صدى الخوف. لم يكن هناك وقت للتفكير أو التردد؛ فشيطان إيميلي كان يطاردني بسرعة مذهلة، تخترق صمت الليل صرخاتها المرعبة التي تنذر بأنها على وشك اللحاق بي.

القمر في السماء كان يراقب بوجه باهت، يسلط ضوءه الخافت على مساري الصخري، ويكشف ظلالًا تتراقص على الأرض. كل خطوة كانت تأخذني أعلى، والهواء يصبح أكثر برودة، يعصر رئتي ويشد عضلاتي. وبينما كنت أتعثر وأصعد، كانت أصوات خطواتها تقترب أكثر فأكثر. كانت تتحرك بين الصخور والأشجار بسرعة تفوق الحيوانات المفترسة، وكل همسة من همساتها كانت تحمل تهديدًا يقطع الأنفاس.

وصلت إلى سفح الهضبة، بينما الريح تعوي حولي، كأنها تشاركني رعبي. التفت للحظة، لأرى عينيها المتوهجتين تقتربان، والظلال التي تلف جسدها تصبح أكثر كثافة.

كانت تقترب مني بكل الغضب الذي يمكن أن يحمله شيطان، وأنا أقف هناك، على حافة العالم، أدرك أنه لا مفر من مواجهة المصير الذي يطاردني.

وقفت هناك، على حافة الهضبة الجبلية، حيث كان الهاوية تمد ذراعيها إليّ، تنتظر بصمت. النور لم يكن كافيًا ليبدد ظلام الوحش الذي يقف أمامي، الشيطان يحمل ملامح إيميلي، ولكنه مليء بروح شريرة لا تعرف الرحمة.

إيميلي، بعينيها اللتين كانتا تشعان بنار حمراء، تقف أمامي، تقطر منها الشراسة والعنف، كان صوتها يتردد في الهواء، يمزق الصمت بكلماتها القاطعة كالسكين:

_ أترى الهاوية وراءك؟ هل تشعر بنداء الفراغ؟

قلت وأنا أحاول الحفاظ على توازني، وأجيب بصوت يحاول أن يكون ثابتًا:

_ إيميلي، لا يجب أن ينتهي الأمر هكذا.

تجاهلت ما قلت وردت بصوت يصدح كصدى من عالم آخر:

_ أتشعر بالخوف الآن؟ هنا، على حافة العدم، حيث يتلاشى كل شيء... حتى الأمل.

أحاول البحث عن كلمات تكسر الصمت الثقيل:

_ إيميلي، لا يجب أن تكوني هكذا. أعلم أن بداخلك ما هو أقوى من هذا الظلام.

إيميلي، وهي تقدم خطوة أخرى، الابتسامة المخيفة تعلو محياها:

_ أقوى من الظلام؟ لا شيء أقوى من الظلام الذي يسكنني. وأنت... أنت ستغرق فيه معي.

أشعر باليأس يلفني:

_ لماذا تفعلين هذا؟ ما الذي تريدينه حقًا؟

إيميلي، وهي تضحك ضحكة تشق السكون:

_ أريد أن أرى النور يختفي من عينيك. أريد أن أشهد لحظة يأسك الأخيرة.

أجبت بعدما عثرت على شعاع أمل ضئيل:

_ هناك دائمًا فرصة للرجوع، إيميلي. لا يجب أن تكون النهاية هكذا.

إيميلي، بصوت يتسم بالقسوة:

_ الرجوع؟ لقد فات الأوان. الآن، نحن نرقص معًا على خشبة المسرح المظلم، وأنا التي سأقود.

_ لكن... لكن في داخلك ما زال هناك نور، إيميلي. أنا أراه، حتى الآن، في عينيك.

إيميلي، وهي تضحك ضحكة تجمد الدم في العروق:

_ النور؟ النور مجرد ذكرى باهتة. وأنت... أنت ستكون شاهدًا على ميلادي الجديد، حيث أنا الآن سيدة الظلال.

_ إيميلي، توقفي! أعلم أن هناك جزءًا منك لا يريد هذا. أنا أعرفكِ، أنتِ لستِ قاتلة!

إيميلي، وعيناها تتوهجان بوحشية:

_ أنا لم أعد إيميلي التي تعرفها. أنا الآن العاصفة التي ستقتلعك من جذورك. أنا الليل الأبدي الذي سيبتلع صرخاتك.

حينها كانت الحياة تتدلى على حافة السكين، وجدت نفسي أتراجع خطوة وأخرى، حتى شعرت ببرودة الهواء تلفح وجهي من الخلف، إشارة إلى أنني لم أعد أملك مكانًا للتراجع. وإيميلي، بكل ما فيها من قوة مظلمة، كانت تقترب، تقترب حتى شعرت بأنفاسها الباردة على وجهي.

في تلك اللحظة الحاسمة، حيث الخوف يتحول إلى قدر والرعب يصبح واقعًا، كان عليّ أن أختار: إما الاستسلام للمصير الذي ينتظرني أو البحث عن شعاع أمل، مهما كان ضئيلاً، في تلك الفوضى التي تحيط بي.

***

وهكذا، وقفنا على حافة الهاوية، النهاية تنتظرنا بصمت. كانت كلمات إيميلي تلفني كالضباب، وأنا أعلم أن كل لحظة قد تكون الأخيرة. كان الرعب يسري في الأوردة، والخوف يتحكم في النبض، والحوار الأخير يتردد كنشيج في الليل الطويل.

وقفت هناك، ظهري يلاصق الفراغ، وأمامي تقف إيميلي، التي تحولت إلى كابوس متجسد، تنفث الرعب من كل مسامها. شعرت بيدها تمتد نحوي، بأنيابها تستعد للهجوم الأخير،

وبحركة لا إرادية، انحرفت جانبًا، وإيميلي، التي كانت تسابق الريح، خطت فوق حافة العالم. ومع ذلك، في تلك الأجزاء من الثانية التي تبدو كأنها أبدية، مددت يدي في عمل يائس للإمساك بأي شيء، بأي جزء من إيميلي المتبقي.

أصابعي عثرت على يدها، وفي تلك اللحظة، حيث كانت الأنامل تتشابك، شعرت بأننا معلقان بين السماء والأرض، بين الحياة والموت. وجهي كان يكاد يلامس وجهها، وعيناها، تلك العينان المتوهجتان بالشر، بدتا وكأنهما تبحثان عن شيء، عن فهم، عن تذكر.

صرخت بصوت يختنق بالدموع، وأنا أحاول جاهدًا أن أسحبها إلى الأمان، إلى الضوء الذي كان يتسرب ببطء إلى الفجر.

_ إيميلي، لا تدعي الظلام ينتصر!

وهكذا، في مواجهة المصير المحتوم، حيث كانت النهاية تهمس بقصتها المرعبة، كنا نقف على حافة الخيال والواقع، في معركة أخيرة بين الإنسانية والوحشية، بين الحب الذي كان، والرعب الذي سيطر.

تحت سماء تنتظر بصبر لحظة الفجر، وفوق هضبة تشهد صراعًا أزليًا بين النور والظلام، كانت إيميلي تقف على الحافة، تتأرجح بين هويتين: واحدة تسعى للحياة وأخرى تطلب الموت.

إيميلي، بصوت متعب، ممزق بين شخصيتين:

_ أحس ببرودة الهاوية تناديني، ولكن جزءًا مني يرفض السقوط... يرفض أن يتركك.

أنا، وقد أدركت حجم التضحية التي قد تقدمها:

_ إيميلي، أنا هنا معك. لا تدعي هذا الظلام يغلب نورك. أنتِ الشمعة في هذا الظلام الدامس.

إيميلي، بصوت يشوبه الأسى:

_ لقد حلمت ذات مرة بالحرية، بالحب، بالحياة... لكن الآن، الوحش بداخلي يطغى، يعصف بكل تلك الأحلام.

أنا، محاولًا إشعال فتيل الأمل في قلبها:

_ تلك الأحلام لا تزال حية، إيميلي. أنتِ قوية، أنتِ الضوء الذي يمكن أن يبدد هذا الظلام.

إيميلي، بعينين تتقاطر منهما الدموع:

_ أتعلم؟ في كل مرة أنظر إليك، أرى الحياة التي كان يمكن أن تكون... لكني أخشى أنني لم أعد قادرة على العودة إلى ما كنت عليه.

بصوت متوسل:

_ لا تقولي هذا، إيميلي. الحياة تختار الشجعان، وأنتِ منهم. أنتِ الشجاعة بعينها.

إيميلي، بصوت ينبعث منه الحب والحزن:

_ في كل قصة، هناك بداية ونهاية... وكل نهاية تحمل بين طياتها بذرة بداية جديدة.

أشعر بدفء يدها في يدي:

_ إيميلي، لا يجب أن تكون هذه نهايتك.

إيميلي، بابتسامة محزنة ترتسم على شفتيها:

_ أحيانًا، يكون الحب هو القوة التي تدفعنا للتضحية بأنفسنا من أجل من نحب. وأنا... أحببتك بقدر ما يمكن للقلب أن يحتمل.

بصوت مختنق بالعبرات:

ولكن، هناك دائمًا طريقة أخرى، إيميلي. دائمًا هناك أمل.

إيميلي، وهي تضغط على يدي بقوة:

الأمل... هو ما يجعلنا نستمر حتى عندما يبدو كل شيء مستحيلاً. والآن، أنا أعطيك هذا الأمل، ثقل هذا الظلام لن يطاردك بعد اليوم.

أحاول جاهدًا الإمساك بها: إيميلي، لا تفعلي هذا... أرجوك... حقا لا تفعلي هذا.

إيميلي، وهي تضغط على يدي بقوة، كأنها تحاول الإمساك بالحياة نفسها: أترى النجوم؟ كم هي جميلة... لطالما أحببت النجوم.

أشعر بأن كل ثانية تمر قد تكون الأخيرة:

_ نعم النجوم جميلة، هي تنتظر عودتك، إيميلي. أرجوكِ، ابقي معي لا تتركيني وحيدا.

إيميلي، وهي تنظر إلى السماء:

_ لن تكون وحيدًا أبدًا. سأكون معك دائمًا، في النجوم التي تنير السماء، في الريح التي تداعب وجهك، في كل ذكرى جميلة بيننا.

إيميلي، وصوتها يخفت إلى همسة:

_ في الحب، هناك قوة تفوق فهم البشر، قوة تحرق كالنار وتشفي كالماء. وفي الوداع، تكمن الشجاعة التي لا تعرف الهزيمة. وأحيانا، الحب يعني أن تترك من تحب... أن تتركه من أجل أن يستمر.

_ أرجوك...! لا لا...!

لكنها، بابتسامة تحمل كل الحنان الذي عرفته يومًا، وبنظرة تخترق الروح، قالت:

_ لا تبكِ على الأمس، ففي كل دمعة تسقط، تنبت حديقة من الذكريات الخالدة. ولا تخف من الغد، فأنت محارب النور في عالم يتوق إلى الشروق.

وفي تلك اللحظة، انزلقت يدها برفق، وهي تهوي بسلام إلى الأعماق الزرقاء اللانهائية، كانت الأمواج تحتضنها بلطف، تأخذها إلى عالم أبعد من الألم، إلى حيث السكون يعانق الروح. وأنا المنكوب بالفقد، أطلقت صرخة تعبق بالحزن، صرخة تعلو فوق الأمواج وتتحدى الأقدار. "إيميلي!" كانت الكلمة الأخيرة التي ترددت في الفضاء، تحمل معها كل حب لم يقال وكل وعد لم يكتمل.

فيما كان الدم ينسكب من جراحي، يلون الأرض بلون الغروب، بلون الحياة التي تغادر بصمت. سقطت بعد وقفت حداد على غائب لن يعود، أتمايل مع الرياح، حتى انهارت قواي وسقطت على الصخور الباردة، في تلك اللحظة الفارقة، حيث يتلاشى الألم في الأمواج السوداء وتتنفس الروح الحرية، تبلورت في ذهني حكمة ألمت بحزني في بضع كلمات

"كما تترك النجمة في السماء ضوءها الخافت بعد أن تنطفئ، كذلك تترك الأرواح العظيمة وميضها في قلوبنا. ليست النهاية إلا بداية لوجود في بعد آخر، حيث الحب يتخطى الزمان والمكان. وفي اللحظات الأخيرة، تكشف الحياة عن وجهها الحقيقي، وجه يحمل بسمة الأمل ودمعة الفراق. البطولة ليست في الاستمرار وحسب، بل في القدرة على التضحية بالكل من أجل لحظة واحدة من الصفاء والسلام."

ثم غلبني الإعياء والحزن، وسقطت مغشيًا عليّ، حاملاً معي حكمة العمر.

للحديث بقية...!

الخاتمة